

رجال ونساء أسلموا

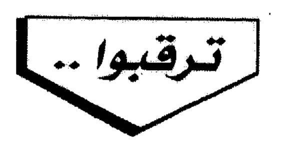
إعداد وترجمة
الدكتور عرفات كامل العشي

مراجعة وتعليق
الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد
الأستاذ بجامعتي الأزهر وأم القرى سابقا

المكتب المصري الحديث

رجال ونساء أسلموا ..

أكثر من مائة شخصية - على حلقات


ترقبوا ..

شخصيات الحلقة الثانية

- فاطمة هيرين
- حسين رؤوف
- اللورد هيدلي الفاروق
- محمد أسد
- الدكتور عبد الكريم جرمانوس
- جوليوس ورفر
- عبد الله آرشيبالد هاملتون
- وليم بيرشل بشير بيكارد
- آمنة ناكامورا وأختها
- محمد عبد الله (دونالد ركويل سابقًا)
- فاطمة تزفسكن
- بيجي رودريك
- محمد ضياء الرحمن الأعظمي
- أحمد عبد الله كوبسيل

بسم الله الرحمن الرحيم

كلام الله:

﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ [آل عمران : ١٩]

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾

[آل عمران : ٨٥]

﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]

﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر: ٢٢]

رجال ونساء أسلموا

الطبعة الجديدة

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م

رقم الايداع بدار الكتب
٢٠٠١ / ٩٤٤١

الترقيم الدولى I. S. B.N.
977-209-069-4:

الناشر : المكتب المصرى الحديث

البريد الإلكتروني : almaktabalmasry@hotmail.com

القـــاهـــرة : ٢ شارع شريف عمارة اللواء ت : ٣٩٣٤١٢٧

الأسـكندريـــة : ٧ شـــارع نوبـــار المنشيـــة ت : ٤٨٤٦٦٠٢

المطابــــــع : طريق مصر ـ اسكندرية الزراعي ك ١٠ ت : ٢.٤ / ٤٤٤١٠٧٠



رجال ونساء أسلموا

إعداد وترجمة

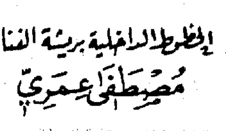
الدكتور عرفات كامل العشي

مراجعة وتعليق

الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد

الأستاذ بجامعتي الأزهر وأم القرى سابقاً

المكتب المصري الحديث



تصميم الغلاف
ناصر حامد

مقدمة الطبعة الجديدة

يسرنى بعد طول غياب أن أعود إلى قراء سلسلة (رجال ونساء أسلموا) بإعادة طباعة السلسلة مرة أخرى، بعد سنوات من بدء صدورها قبل نيف وثلاثين عامًا. والفضل يعود فى ذلك بعد الله تعالى للأخ الكبير الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد الذى أبدى فى زيارة له إلى كندا، واجتماعى به بقدر من الله، رغبة فى إعادة طباعة السلسلة، وبدا منه تشجيع كبير.

إنها سلسلة أبدية لا تنتهى فهى غيض من فيض فى قافلة الناس الذين شاء الله لهم الهداية، وسيظل هذا التيار يتضاعف وينمو حتى يعم الإسلام - إن شاء الله - المعمورة بأسرها، حسبما وعد الله تعالى، وبشر رسول الله ﷺ.

ولئن كان إسهامنا المتواضع لا يعدو قطرة من بحر خضم، فإننا بكل تواضع نتشبث بهذه القطرة لعل الله يتقبلها، ويبارك فيها، ويقينا بها عذابه، ويكرمنا بثوابه وعظيم جزائه.

والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل

د. عرفات العشى

(كندا - تورنتو - غرة المحرم ١٤٢٢هـ)

❁❁❁

بين يدى هذه الطبعة الجديدة

بقلم الدكتور/ عبد الستار فتح الله سعيد

الحمد لله الذى هدانا للإسلام وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه.

وبعد:

فهذه سلسلة نادرة من قصص الرجال والنساء الذين شرح الله صدورهم للإسلام، وأسعدهم به فى الدنيا، وهو المأمول دائمًا أن يسعدنا وإياهم بالإسلام فى ظلال رضوانه وجناته يوم الدين.

وسيجد القارئ فى هذه القصص العجيبة آيات بينات من تدبير الله لعباده، والعبر النافعة، والأفكار المنيرة، فضلاً عن الدراسات العميقة، والنظرات الصائبة، التى هدى الله إليها هذه الأفواج المتتابعة التى لا ينقطع مددها، ولا يحصى عددها، على امتداد القارات، وعلى اختلاف اللغات والثقافات، وتباين الأعمار والمستويات.

وقد كانت لى قصة قديمة مع هذه السلسلة الذهبية:

فقد حصلت على خمسة أجزاء من الطبعة الكويتية منذ أكثر من عشرين سنة، وقد أعجبت بها، واستوعبت قراءتها، وكنت دائب التنبيه على فوائدها فى دروسى ومحاضراتى، حين أريد تنبيه المسلمين أنفسهم إلى عظمة الإسلام دين الله الحق، وكيف سكب فى قلوب الحيارى والضائعين - من شتى الأمم - السكينة والطمأنينة، ووجدوا فيه شاطئ النجاة والسلامة بعد طول شرود فى بحار المذاهب المتلاطمة، وركام العقائد والأفكار المتضاربة!!

وقد شكا لى كثيرون بأنهم لا يجدون هذه السلسلة، رغم كثرة البحث عنها، بل لم أستطع أنا الحصول على بقية أجزائها بعد مغادرتى مدينة الرياض منذ عشرين سنة.

ثم شاء الله الحكيم فى تدبيره أن أقوم بجولة دعوية طويلة فى أرجاء الولايات المتحدة الأمريكية وكندا فى شهر رجب ١٤٢١هـ (أيلول ٢٠٠٠م)، وكان مما زرناه مدينة (تورنتو) بكندا فقابلت جامع هذه السلسلة ومترجمها: (د. عرفات العشى)، وكان أول ما سألته عن هذه السلسلة، وعلمت منه أنها بلغت عشرة أجزاء، وأنها ترجمت إلى الإنجليزية، فشكوت له ندرة الطبعة العربية، فقال: إنها نفذت منذ سنين طويلة، وحبذا لو طبعتموها فى القاهرة، وقد رحبت بذلك لما أرى فى هذه السلسلة من فوائد جمة للمسلمين أنفسهم، حتى يزدادوا بَصراً بعظمة المنهاج الإلهى الذى هداهم الله إليه، وشرفهم به من غير كدّ ولا تعب.

ومن هناك بدأت قصة هذه الطبعة الجديدة:

فقد أمدنى المؤلف - تباعًا - بجميع أجزائها بعد عودتى إلى القاهرة، وعكفت على مراجعتها، وتصحيح بعض ما فيها، والتعليق الضرورى عليها، ووضع عناوين فرعية فى داخل كثير من قصصها لمزيد من الإيضاح وتركيز الإفادة، وحذف بعض المعلومات التى لا تتناسب مع هذه الطبعة الجديدة، وتعديل مواقع بعض القصص لمزيد من التناسب والبيان، وكذلك ترقيم القصص ترقيمًا متسلسلاً ليَسهل الإحالة إليها، أو الرجوع لها.

لذلك نرجو أن تكون هذه الطبعة الجديدة قد جاءت على هيئة أتم وأوفى، خدمة للغرض التى سيقت من أجله، وهو خدمة الإسلام والمسلمين فى المقام الأول، وليس الدخول فى جدليات فارغة يثيرها بعض المحترفين من أهل المذاهب المخالفة لدين الله، المجافية للحق والفطرة، والتى أشقت أبناءها أنفسهم، ففروا منها إلى الإسلام العظيم، يلتمسون لأنفسهم الخير والنجاة، فهنيئًا لهم هداية الله وتوفيقه الجليل، ونسأله سبحانه أن يهدينا جميعًا إلى الصراط المستقيم.

نظرة موضوعية وخطوط مشتركة

حين قرأت هذه القصص الكثيرة خرجت بخطوط جامعة مشتركة بين أصحابها جميعًا، رغم اختلافهم - قبل إسلامهم - زمانًا ومكانًا، وسنًا وثقافة، ولغة وعقيدة ومذهبًا ... الخ.

ومن هذه الخطوط المشتركة الجامعة:

أولاً: الإيمان بوحدانية الله تعالى هو فطرة إلهية فطر الله الناس عليها، وهي تغلب ما عداها من موروثات البشر. وتحريفات المضلين، وكان هذا في غالب القصص هو المفتاح الذي حرك النفوس والقلوب، حتى انتهت بهؤلاء السعداء إلى الإسلام دين الفطرة، متخطية كل العقبات التي تقف في طريقها.

ولذلك فكل مذهب أو دين يقوم على الشرك والوثنية هو ظلام مضاد للحق والفطرة، ولابد أن ينفض عنه أتباعه عند أول بادرة من العلم الصحيح، أو التفكير السليم.

ثانيًا: في كل هذه القصص نجد الشك، والحيرة، والقلق العاصف ينتاب الرجال والنساء، فإذا اكتشفوا الإسلام انسكبت في نفوسهم وقلوبهم السكينة والطمأنينة، وامتلأت جوانبهم بالرضا والسلام الداخلي مصداقًا لقول الله تعالى:

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد:٢٨].

ثالثًا: تشمل هذه القصص رجالاً ونساء من كل الطبقات ابتداء من علماء الدين، والمادة، والطبيعة، والذرة، والمفكرين والأدباء والفلاسفة، وانتهاء بالأفراد العاديين من كل لون.

والملاحظ أن جميعهم كانوا من أذكى الناس عقلاً وفهما، وأن أحداً منهم لم يسلم إلا بعد بحث وتدقيق، وفحص ودراسة، بل سجل كثير منهم ضروبًا عجيبة من التحليل والموازنة، وأفكاراً غاية في الجودة والدقة والترتيب، ولعلهم لهذا كانت لديهم تلك القدرة الحاسمة للتفرقة الواضحة بين ما درسوه عن عظمة الإسلام، وبين ما عليه كثير من المسلمين المعاصرين من تخلف واضطراب، لقد فهموا أن هذا سببه عدم تطبيق الإسلام تطبيقًا صحيحًا، فاستمروا على الهداية العظمى التي شرح الله صدورهم لها، بل تحولوا دعاة يذكرون المسلمين بوجوب تطبيق دينهم الحق.

ومن هذا يتبين أن إسلام هؤلاء هو اعتقاد واقتناع، وإيمان خالص، لا مدخل فيه للخداع، أو الإكراه، أو المصالح الشخصية وغيرها.

رابعًا: سجل هؤلاء المهتدون إعجابهم المطلق بالشمول الإسلامى لكل نواحى الحياة الدينية والدنيوية، المادية والروحية، السياسية والاجتماعية والاقتصادية ... الخ.

وكان هذا الاكتشاف أحد الأسباب المؤثرة فى جذب كثير منهم إلى الإسلام، أو التى أدت إلى ثباتهم على الإسلام بعد دخوله، لأنه يلبى الحاجات الفطرية لكل منهم، ويناسب شخصيته رغم تعدد البيئات، والقوميات، والعقائد، والعوائد السابقة لكل منهم.

إن كثيراً منهم يسجل انبهاره بصلاة الجماعة، وصلاة الجمعة، وقدرة الإسلام على إقامة مجتمع تسوده قيم الإخاء، والمساواة، وعدم التفريق بين الألوان والأجناس، لقد تحول كل هذا إلى واقع عملى تطبيقى، بينما كان ذلك فى غير الإسلام شعارات جوفاء، وألفاظًا رنانة ليس لها برنامج عملى فى واقع الحياة.

خامسًا: معظم هؤلاء المهتدين نجحوا فى تشخيص الداء المدمر فى جسم الحضارة الغربية المعاصرة، والخلل الرهيب فى نمط «التدين» الذى قدمته إليها الكنائس المتعددة، والذى يقوم على ما وصفه به أحدهم من «سلبية الإيمان» والفشل الذريع فى تحقيق أى تقدم روحى حقيقى رغم البريق الحضارى، والتفوق العلمى والصناعى، الذى أدى إلى تفاقم مشكلات الإنسان، بإغراقه فى مزيد من الشهوات المادية، والملذات الجنسية، والتبلد الوجدانى، والقسوة والأنانية، التى باتت تنخر كالسوس فى كيان الحضارة الفارهة!!!

سادسًا: من الخطوط المشتركة ذات الأهمية البالغة فى هذه القصص بيان الأثر الجميل للصداقة النبيلة، والمناقشة الهادئة، والقدوة الحسنة، والدعوة اللطيفة، أو الهدية الخالصة، أو العلاقة الفردية والاجتماعية القائمة على المحبة والمودة، فإن لذلك كله آثاراً بالغة فى دعوة الناس إلى دين الله الحق المبين.

يقول النبى ﷺ: «لا تحقرنَّ من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق» رواه مسلم.

وفى هذه القصص أهدى طالب مسلم لصديقه الأمريكى مصحفًا باللغة العربية التى

لا يعرفها، ومع ذلك انتهى به الْقَدَر إلى السعادة العظمى بدخول الإسلام (انظر القصة رقم:٧) وغير ذلك كثير في بقية القصص، ولذلك ينبغى أن يتنبه المسلمون فى كل مكان إلى هذا المعنى الجميل فى الدعوة إلى الله تعالى.

سابعًا: معظم القصص تسجل (ظاهرة) مريرة، وهي: جهل أصحابها المطلق بالإسلام قبل معرفته، أو كراهيته كراهية شديدة بتأثير الدعاية الحاقدة على دين الله تعالى فى الهند، أو فى الغرب عامة من جراء الأكاذيب التى أذاعتها الكنيسة الكاثولوكية الجاهلة وأمثالها، وكذلك بفعل اليهود أعداء الوحى الإلهى من قديم، وأعداء كل رسول بعثه الله إليهم أو إلى غيرهم!!

والمسلمون مطالبون فى كل مكان أن يكونوا خير عنوان لدينهم العظيم، حتى يردوا بأخلاقهم مزاعم الكذابين، الذين شحنوا نفوس الأمم بغاية الحقد والبغضاء للإسلام والمسلمين، والله من ورائهم محيط.

ثامنًا: معظم هذه القصص حرص المؤلف - جزاه الله خيراً - على توثيقها بذكر مراجعها، أو ببيان أنها نتيجة لقاء شخصى مع صاحبها، أو أرسلت إليه من أصحابها أنفسهم، أو كتبها ألصق الناس بهم، ونحو ذلك من ضروب التوثيق العلمى، الذى يحمل على الاطمئنان إليها، والثقة بها، ويبعدها عن ذلك اللون من المنشورات التى تقوم على الأكاذيب، وتلفيق القصص، خدمة لمذاهب وعقائد متهافتة، متناقضة، لا تستند إلا على أكاذيب من جنسها، فيفضح الله الباطل من طرفيه، والله لا يصلح عمل المفسدين!!

وبعد:

فإن الإسلام دين الله لعباده فى كل العصور، وعلى لسان كل رسول، وقد زكّى رسالته الخاتمة فقال تعالى:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً . . .﴾ [المائدة:٣].

وهذه القصص جميعًا شهادة عالمية بأن هذا الدين الذى جاء به محمد ﷺ هو الحق من عند الله، وأنه هو المتفرد بالصحة والحفظ من الله تعالى، ولذلك ينحاز إليه عقلاء الأمم وسعداء البشر فى كل الأجيال.

وفى هذا تذكرة للمسلمين قبل غيرهم بمقدار النعمة الإلهية التى أهديت إليهم، ليقوموا بحقها عملاً وبلاغًا للعالمين، والله من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الكتاب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فهذه باقة من القصص الإسلامية وفق الله إلى جمعها وترجمتها، أقدمها اليوم للجيل الجديد من قراء العربية ليتبينوا ما هم فيه من نعمة الهدى والإيمان بدين الإسلام الحنيف، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ما معناه: لا يعرف الإسلام من لا يعرف الجاهلية، وأخشى ما كان يخشاه الخليفة الفاروق أن ينشأ المسلمون لا يعلمون من أمر الجاهلية شيئا، فلا يعرف الشيء إلا بضده، قال تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩]، فهناك الليل والنهار، والذكر والأنثى، والشمس والقمر، والظلام والنور، كذلك هناك الهدى والضلال، والسعادة والشقاء، والجنة والنار.. إلخ، ولقد قالها ربعى بن عامر لرستم أحد أمراء الجاهلية (الفارسى) حين سأله رستم: ما الذى جاء بكم؟ قال ربعى بن عامر: إن الله ابتعثنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.

ربَّ قائل يقول: إن المسلمين اليوم بعيدون عن الإسلام بعداً كبيرا، إلا أن أعداداً كبيرة من الناس فى الشرق والغرب فى أفريقيا وآسيا وأمريكا وأوربا تدخل فى هذا الدين أفواجاً، فتؤمن به وتجاهد فى سبيل إقامته فى أنفسها وفيمن حولها فما سبب ذلك يا ترى؟ مع أن نشاط الدعوة الإسلامية محدود، وجنودها قلائل وإمكانياتها ضئيلة؟ قال أحد العلماء: أن السبب يكمن فى الإسلام ذاته؛ هذا الدين الخالد الذى أنزله الله وتكفل

بحفظه واستمراره، ولقد عرف أعداء الإسلام هذه الصفة الربانية فكرسوا جهودهم لتشويهه وطمس حقائقه، وأصدروا مئات الكتب لذلك وطبعوا القرآن محرفا، ولكن دون جدوى وصدق الله العظيم: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

هذا هو التفسير الحقيقى لما نسمعه كثيرا من قصص يحير الفكر ويثير الدهشة، ولنضرب لذلك بعض الأمثلة من التاريخ القديم والحديث:

ها هى جحافل التتار تكتسح البلاد الإسلامية فلا تبقى ولا تذر ثم يشاء الله لهم الهداية فيهتدى ملوكهم ويسلمون وينتصر دين الله على جبروتهم فيخضعهم ويقودهم إلى طاعة ربهم، وما قصة الأتراك السلاجقة منا ببعيد. هذا فيما مضى.

أما فى العصر الحديث فهناك أمثلة فردية كثيرة. يحدثك بعض الناس عن مستشرق ماكر، وعالم فذ يستخدم علمه ودهاءه فى الكيد للإسلام والمسلمين فيدس السم فى الدسم، ويظهر الباطل حقًا ويفعل ويفعل، وبين عشية وضحاها تسمع أنه أشهر إسلامه وأصبح على ثغرة من ثغور المسلمين يدافع عنهم، ويرد كيد عدوهم ويذب عن حياضهم، فتعجب وتقول: سبحان الله! ولكنه الدين الإلهى العظيم، الذى أنزل بهذه القوة منذ الوهلة الأولى فأحل الأخوة والتواد محل العداوة والغضاء، وفى هذا المعنى يذكر الله تعالى المؤمنين فى كتابه العزيز فيقول جل شأنه ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وبين يديك أخى القارئ مجموعة من هذه الأمثلة الحديثة مختارة من بين مئات القصص التى لا تقع تحت الحصر، عسى الله أن ينفع بها إنه سميع مجيب، ولا أنسى أن أقدم شكرى وامتنانى إلى كل من ساهم معى فى إخراجها وإعدادها وجمعها، كما أتوجه بالدعاء إلى الله أن يهدى قومى إلى دينه إنه ولى ذلك والقادر عليه. وأخص بالشكر الأخت المسلمة والكاتبة الإسلامية الكبيرة مريم جميلة التى تفضلت مشكورة بتزويدى بقصة إسلامها، كما أتوجه بالشكر الجزيل للأستاذ الكبير والمجاهد الفاضل الدكتور عيسى عبده إبراهيم الذى زودنى بقصة إسلام والده المرحوم الدكتور عبده

إبراهيم نضّر الله ثراه، كما أشكر الأستاذ الشيخ محمد المجذوب - المدرس بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة الذي تفضل بالإسهام بقصة «هدى» المسلمة الفرنسية وهي القصة التي سبق أن نشرها في مجلة حضارة الإسلام الغراء.

كما أتوجه بشكري الجزيل إلى أخي وأستاذي الشيخ عبد الله العقيل الذي بذل جهده المبارك لتشجيع إصدار هذه السلسلة.

وَاللهُ الموفِّقُ إلى مَا يُرِيد

الكويت في ٢٦ جمادى الأولى ١٣٨٨ هـ

٢٠ آب (أغسطس) ١٩٦٨م

د. عرفات العشي

ألمانيا:

١. محمد صدّيق
مسلم ألماني

قام صاحب هذه القصة بزيارة الكويت عام ١٩٦٦
وأجريت معه مقابلة هذه هي خلاصتها

س: نحب أن نتعرف بكم:

ج: اسمي محمد صديق، ولدت في عام ١٩٤٤ في مدينة برلين بألمانيا الغربية، وذهبت إلى المدرسة مدة عشر سنوات ثم دخلت مصرفًا كي أصبح كاتبًا فيه، وفي غضون ذلك بدأت صلتي بالإسلام لأول مرة، فاعتنقت الإسلام في عام ١٩٦٢، وكان لدي رغبة في الدراسة الجامعية ولذلك فبعد أن أنهيت دراستي في المصرف وبعد أن أصبحت كاتبًا عدت إلى المدرسة وقضيت فيها ثلاث سنوات، حتى حصلت على شهادتي النهائية التي تخولني حق الدراسة في أي جامعة، وآمل أن أدرس الشريعة الإسلامية في كلية الشريعة بدمشق.

س: لماذا اعتنقت الإسلام؟

ج: في عام ١٩٦١ دعاني مسلم ألماني إلى اجتماع لبعض المسلمين في برلين وفي ذلك المساء رأيت لأول مرة صلاة الجماعة في الإسلام، ورغم أنني كنت أضحك في بداية الأمر من شكل الصلاة، فإن هذه الصورة ذاتها هي التي جعلتني أفكر في الإسلام، فقد أردت أن أعرف لماذا يقوم هؤلاء الناس بالصلاة بهذه الكيفية؟ فاستنتجت أنها خير سبيل يختاره الإنسان لعبادة خالقه، فبدأت وأنا ما زلت بروتستانتيًا في أداء الصلاة بالكيفية الإسلامية، وكنت في ذلك الحين في السادسة عشرة من العمر، وهي المرحلة التي كنت أبحث فيها عن الحقيقة والمعرفة، فبدأت أدرس الأديان بصفة عامة والإسلام على وجه الخصوص، فأيقنت في غضون دراستي أن دنيا تفكيري وإحساسي أقرب للإسلام منه للنصرانية، وبالتدريج اكتشفت أن الإسلام كمنهج حياة كان ينسجم من كافة

الوجوه مع فطرتى البشرية.. واستطيع هنا أن أضرب مثالا نظرياً وآخر عملياً، فمثلاً: عندما درست وجهة النظر الإسلامية حول النبى عيسى عليه السلام عرفت أننى لم يحدث قط أن آمنت بأن عيسى عليه السلام ابن الله، كما عرفت فيما بعد من أستاذ بروتستانتى أن عددا كبيرا من النصارى - حوالى ٨٠٪ - أقرب إلى الإسلام منهم إلى النصرانية فى هذه الناحية على الأقل من عقيدتهم.

أما من الناحية العملية فحتى قبل إسلامى كنت أنفر من الخمور والرقص وما شابه ذلك من الأمور التى عرفت فيما بعد أنها محرمة فى الإسلام، وهكذا كان الإسلام بالنسبة لى كعملية اكتشافى لفطرتى ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٣٠].

س: لماذا تريد دراسة الشريعة الإسلامية وما أهدافك من وراء هذه الدراسة؟

ج: من تجاربى فى ألمانيا وغيرها من البلاد الأوروبية اقتنعت أن الحركة الإسلامية فى أوروبا وفى المانيا بصفة خاصة بحاجة ماسة إلى متفرغين للعمل الإسلامى، لأنه حتى الآن فإن جانبا كبيراً من كافة أنواع النشاط الإسلامى يقع على عاتق جمعيات الطلبة المسلمين هناك، وبطبيعة الحال فإن الأخ القادم إلى ديار الغرب باحثاً عن المعرفة لا يستطيع أن يقضى كل ما لديه من وقت فى العمل الإسلامى، إذ يستطيع هؤلاء الطلاب أن يقضوا ساعة أو ساعتين يومياً فى الدعوة، ولكن لابد من وجود أخ يستطيع أن ينظم، وهذا التنظيم يحتاج إلى متفرغ، ومعرفتى بالإسلام حسب المصادر التى توفرت لدى لا تعتبر كافية لملء هذه الوظيفة، ولذلك أريد دراسة الإسلام فى جامعة إسلامية أولاً: كى أتمكن من الإسهام بثقافتى فى الحركة الإسلامية فى أوروبا، وأنا مقتنع بالطبع أن الإسلام اليوم فى أمس الحاجة إلى متخصصين فى ميادين أخرى، ولكن التخصص فى أى ناحية أخرى لن يمكننى من التفرغ لتنظيم الجمعيات الإسلامية فى ألمانيا، ومعنى هذا إننا بحاجة إلى مفكرين كما إننا بحاجة إلى جنود للدعوة الإسلامية، وأحب أن أكون من النوع الأخير.

س: ما هى نواحى النشاط الإسلامى فى ألمانيا؟

ج: إن النشاط الإسلامى فى المانيا حديث العهد جدا، فقد تأسست جمعيات الطلبة

المسلمين فى غضون الثمانى أو العشر سنوات الماضية، فكان هناك نشاطات محلية ومنذ أربع سنوات فقط بدأت هذه الجمعيات المحلية تشكل منظمات على مستويات أشمل كاتحاد الطلبة المسلمين فى انجلترا، واتحاد الطلبة المسلمين بأوروبا، فقد تأسس كل منهما منذ أربع سنوات فقط، وتعتبر أوجه نشاطهما حتى الآن محدودة للغاية، وسبب ذلك هو الحاجة إلى التنظيم، وتتألف نشاطات الجمعيات الإسلامية المحلية من إقامة الشعائر الدينية والقاء المحاضرات الأسبوعية للمسلمين والندوات العامة وحلقات النقاش لغير المسلمين، كما شرعت بعض الجمعيات فى إنشاء مدارس الجمعة لأبناء المسلمين، كما أن هناك عدداً صغيراً من المطبوعات الإسلامية باللغة المحلية، كذلك تجرى الاحتفالات الإسلامية، كما بدأت الجمعيات مؤخراً فى عقد الاجتماعات الأسبوعية وأعتقد إننا سنستفيد كثيراً من إنشاء مراكز صغيرة فى كل جامعة وأعنى بهذه المراكز استئجار شقة أو بيت صغير يتألف من غرفة للصلاة ومكتبة وغرف أخرى تكفى لثمانية أو عشرة من الأخوة على الأقل للعيش معا، وتأليف مجموعة للقيام بشتى نواحى النشاط الإسلامى.

س: ما هو انطباعك عن المسلمين فى العالم الإسلامى؟

ج: اعتدت منذ عام ١٩٦٢ أن أقوم كل عام بزيارة لبعض الأقطار الإسلامية، وإذا تذكرت معنى الزيارة أستطيع أن أقول إن زيارتى الأولى فقط هى التى رضيت عنها، ذلك لأننى قضيت معظم الوقت من هذه الرحلة فى بلدة صغيرة بالأردن وكانت الحياة العامة فى هذه البلدة فى ذلك الوقت على الأقل قد أعطتنى فكرة جزئية عن خلق المسلمين فى حياتهم العامة، وسرعان ما تلاشت هذه الصورة عندما شاهدت أماكن أخرى، كما شاهدت هذه البلدة ذاتها بعد بضع سنين، وأستطيع أن أقول بصفة عامة أن مظاهر الحياة العامة فى بعض الأقطار الإسلامية تتنافى مع ما جاء به الدين الإسلامى.

س: ما دور الحركة الإسلامية فى الغرب؟

ج: إننى أعتقد أن وجود حركة إسلامية منظمة تنظيما دقيقا فى ديار الغرب يمكن أن يلعب دوراً بارزاً فى العالم الإسلامى المعاصر، وذلك لسببين: الأول أننا كمسلمين نشطين يمكننا أن نعمل للإسلام فى البلاد الغربية بقدر أكبر من الحرية عنه فى معظم

البلاد الإسلامية المعاصرة، فبينما يتعرض المرء لصعوبات كبيرة إبان عمله للإسلام فى بعض البلاد الإسلامية، فإنه يكون فى مأمن من مثل هذه الأخطار على حياته الشخصية، والسبب الثانى هو أن كثيرا من الطلبة الدارسين فى الغرب سيلعبون دورا فعالا فى الحياة العامة فى بلادهم بعد عودتهم إليها، فلو عاد عدد من هؤلاء إلى بلادهم كمسلمين ممتازين سيؤدى ذلك إلى خير الإسلام فى المستقبل القريب، ومعنى ذلك أن قيام حركة إسلامية منظمة فى الغرب مهم جدا لمستقبل الإسلام.

س: ما موقف المسلم فى أوروبا من الحضارة الغربية؟

ج: إن موقف المهتدين إلى الإسلام من الحضارة الغربية موقف سلبى، فكثير منهم اختاروا الإسلام منهجا لحياتهم لأنهم لم يجدوا سبيلا آخر لحل مشكلاتهم فى ضوء اعتبارهم أن الإنسان من مخلوقات الله، والحضارة الغربية تضع حلا لمشاكل الحياة المادية فحسب، وقد أقر هذه الحقيقة المسلمون وغير المسلمين فى أوروبا ونحن نشاهد الأثر المدمر للحضارة الغربية على الحياة الإنسانية، فقد تحطمت الأسرة كما جمدت صلات المودة بين الأفراد، فضاعت على المجتمع فرصة حل مشكلات أفراده بصورة إنسانية صحيحة، لذلك كان لزاما علينا أن نقول بأننا إذا شئنا أن نكون بشرا بحق نتصرف تصرفات إنسانية فلا بد لنا أن نعرض عن التقليد الأعمى للحضارة الغربية، وبطبيعة الحال هناك مسلمون فى الغرب والشرق على السواء يعربون عن إعجابهم بالحضارة الغربية ويحاكونها محاكاة عمياء، فعليهم أن يتذكروا ما قاله برتراند راسل الفيلسوف الإنجليزى الذى نال جائزة الدولة، فقد كتب فى أحد مؤلفاته بأن الناس في الغرب غير قادرين على تطوير الجانب الإنسانى من الحياة بنفس الكمية التى تتقدم بها الناحية المادية، وإن كل خطوة إلى الأمام فى المخترعات المادية هى خطوة نحو فناء الإنسان، وليس معنى ذلك أننا لابد أن نرفض كافة المخترعات الغربية، ولا أن ننكر العلم الذى أحرزه الغرب فى عدة ميادين من الحياة العلمية، ولكن علينا أن نكون دائمًا على يقظة. فلا نلقى بأنفسنا تحت زحمة هذه الحضارة، بل نأخذ منها ما ينسجم وإسلامنا ونلقى عن كاهلنا عفنها وفسادها. وهذا الأمر ممكن لو آمنا بالإسلام عن بينة وهدى.

❖❖❖

انجلترا :

٢- عَائِشة برجت هُونى ✧

فتاة انجليزية تعمل مدرِّسة فى مدرسة عليا فى نيجيريا . وفيما يلى نص المقابلة التى أجريت معها ونشرت فى بعض المجلات الإسلامية باللغتين الانجليزية والأوردية.

س : متى اهتديت إلى الإسلام وكم كان سنك فى ذلك الحين ؟

عائشة: منذ ثلاث سنوات ونصف أضاء الله قلبى بنور الإسلام. وكنت أبلغ من العمر واحدا وعشرين عاما .

س : هل لك أن تحدثينا عن كيفية اعتناقك لهذا الدين الحنيف ؟

عائشة: نشأت فى أسرة انجليزية لا تختلف عن عامة البيوت الانجليزية من الناحية الدينية. فقد كانت أمى نصرانية لا تؤدى الشعائر الدينية النصرانية ولم يكن والدى يؤمن بأى دين من الأديان. وقضيت مرحلة الطفولة فى إحدى المدارس الدينية التابعة للكنيسة فتعلمت كافة الموضوعات التى تدرس فيها. إلا أن محادثاتنا لم تكن تمت للدين بصلة. فلا أذكر أننى سمعت فى منزلى فى أى يوم من أيام طفولتى أى ذكر لاسم الله. ولم أكن مقتنعة ببعض المبادئ الرئيسة فى الديانة النصرانية وخاصة فكرة التثليث ومبدأ تكفير الذنوب الذى يزعم أن الله أو المسيح قد قدم نفسه فدية للناس فرضى أن يصلب تكفيراً عن جميع ذنوبهم. ورغم ما سمعته من مناقشات حول هذه المعتقدات لم أقتنع بشئ من ذلك وشعرت أن كل ما سمعته لا يمثل إلا جانبا واحداً من الحقيقة. وكنت أريد أن أعرف الحق كاملاً غير منقوص. صحيح إن مدرستى التى قضيت فيها طفولتى كانت نصرانية إلا إننى تخرجت منها غير مؤمنة.

حيرة فى شتى المذاهب :

كنت شغوفة بالفلسفة وكانت لدى رغبة شديدة فى التوصل إلى الحقيقة. فلما بلغت

✧ نشرت هذه القصة بالانجليزية فى مجلة العرفان الباكستانية.

من العمر خمسة عشر عاما طالعت كتاب «طاوته شنج» وكان عبارة عن مجموعة من الكتابات القديمة حول فلسفة «طاو» الصينية. فتأثرت بأفكاره، ثم حدث أن عثرت على بعض المعلومات اليسيرة عن الديانة البوذية فقررت أن أتعمق فى دراسة هذين المبدأين الفلسفيين كليهما. فشرعت فى تعلم اللغة الصينية ولم يكن ذلك بالأمر الهين على فتاة مثلى فى الخامسة عشر من العمر بلا نقود ولا إمكانيات. لذلك سافرت إلى كندا بعد أن بلغت من العمر سبعة عشر عاما. فاشتغلت لمدة سنتين جمعت خلالها نقوداً تكفى لإكمال دراستى. وكان برنامجى يتلخص فى الحصول على الشهادة الثانوية ودخول الجامعة لتعلم اللغة الصينية. وعندما كنت فى كندا تعلمت الفلسفة الهندوكية وقرأت الكتب الهندوكية المقدسة. وكانت المبادىء الثلاثة التى كنت أعرفها فى ذلك الحين هى الطاوية والهندوكية والبوذية. صحيح إن تلك المبادىء تتميز بالجمال والعمق والسمو إلا إنها لم تشبع عقلى ولم ترض مشاعرى. فقد فشلت هذه المبادئ فشلا ذريعًا فى الاستقرار أو الثبات فى هذا الكون الفسيح وفى الحياة اليومية التى يعيشها الناس بعضهم مع بعض. فهى تغفل جانباً أو آخر من جوانب الحياة إغفالا تامًا. فقد كان مؤسس الديانة الطاوية مثلا يهيم على وجهه فى الأماكن النائية من العالم فى صورة راهب أو متصوف. كذلك ترك بوذا زوجته وأهله وخرج باحثاً عن الحقيقة. والكتب الهندوكية أخلاقية من أساسها. ولكن هل يكفى أن تكون التصورات البشرية للحياة الاجتماعية مجرد هلوسة لا أساس لها من الحقيقة؟ إن هذا التساؤل قد حيرنى .. فلم يكن بوسعى الإيمان بأى من هذه المبادئ الثلاثة. ولكن بم أؤمن إذن؟ وما الهدف من الحياة؟ هل الحياة صدفة كما يزعم بعض الناس؟ وبمرور الزمن ازداد القلق والحيرة بصورة لم أكن أذوق معها طعماً للنوم ليالى بأكملها. لذلك لم يعد هناك أى جدوى من نجاحى فى امتحان الثانوية ودخولى الجامعة لدراسة اللغة الصينية. صحيح إننى حققت رغبتى فى تعلم اللغة الصينية ولكن الحقيقة التى كنت أبحث عنها كانت لا تزال بعيدة نائية ...

التعرف على الإسلام والقرآن:

وبعد التحاقى بالجامعة أتيحت لى فرصة التعرف على المسلمين، ولم أكن قبل ذلك قد قرأت أو سمعت شيئاً عن الإسلام، بل الحقيقة إننى كنت كسائر الغربيين أكنُّ أحقاداً

وشكوكًا وشبهات حول الإسلام. فشرح لى الطلاب المسلمون فى الجامعة مبادئ دينهم الإساسية بكل هدوء وموعظة حسنة. وأجابوا على كافة اعتراضاتى كما أهدوا لى بعض الكتب لمطالعتها. فكنت فى مستهل الأم أقلب صفحات هذه الكتب بصورة سريعة فى أوقات فراغى واعتبرت ذلك مجرد تسلية وترفيه لى، ثم حدث تغير مفاجئ عندما شرعت فى قراءة فقرات من هذه الكتب، فقد أخذت الشبهات العالقة فى نفسى حول الإسلام تتلاشى شيئاً فشيئاً، وانكببت على قراءتها بصورة جدية، فأذهلنى أسلوبها فى العرض وطريقتها الجديدة فى الشرح والتعليق، وتأثرت غاية التأثر بمنطق المناقشة التى تناولت بها فكرة الخالق والمخلوق والحياة بعد الموت، ثم أهدى لى هولاء الطلاب المسلمون نسخة من ترجمة معانى القرآن باللغة الإنجليزية. ولن أستطيع مهما حاولت، أن أصف الأثر الذى تركه القرآن فى قلبى، فلم أكد انتهى من قراءة السورة الثالثة من القرآن حتى وجدتنى ساجدة لخالق هذا الكون. فكانت هذه أول صلاة لى فى الإسلام. ومنذ ذلك الحين وأنا مسلمة والحمد لله، فقد اعتنقت الإسلام بعد أقل من ثلاثة أشهر من بدء سماعى بهذا الدين، لذلك لم أكن أعرف منه إلا أركانه الأساسية. فأخذت أوجه أسئلة كثيرة لإخوانى المسلمين وأناقشهم فى تفصيلاتها.

وكثيراً ما يسألنى الناس عن الدوافع الرئيسية التى أدت إلى اعتناقى للإسلام. فأجيب بأنه ليس من اليسير علىّ أن أقدم إجابة مرضية لذلك. فالإسلام فى تصورى وكما يراه أحد الأوروبيين المسلمين كمثل نموذج هندسى بديع كامل يكمل كل جزء من أجزائه بقية الأجزاء الأخرى ويكمن سر جماله فى انسجام هذه الأجراء وتلاؤمها. وهذه الخاصية الإسلامية هى التى تمارس تأثيرها العميق فى النفس الإنسانية. فإذا تأملنا تصور الإسلام العميق لعموم الأشياء والأهداف والدوافع والأفعال وتفسيراته للحكمة الإسلامية فإن ذلك يثير دهشتنا، وإذا نظرت إلى أحكام الإسلام وتفصيلاته وجدت فيها خير هاد لحياة اجتماعية نظيفة تنبثق من قيم خلقية صحيحة. فالمسلم مثلا يذكر اسم الله فى مبدأ كل عمل. ومن هنا يتم الترابط بين حياته اليومية ودينه فتتزن الحياة وتنسجم.

س : كيف كان أثر اعتناقك للإسلام بالنسبة لأسرتك وأصدقائك ؟

ج: لم يُبد والداى اهتمامًا كبيراً لذلك فى مبدأ الأمر. فحسبوا أن ذلك مجرد هواية

أمارسها، كالحصان الخشبى مثلا، أو كرغبتى السابقة فى تعلم اللغة الصينية وإننى سرعان ما يخفف حماسى ثم أنساها بمرور الزمن. ولكن الأيام أثبتت خطأ تفكيرهما. فقد رسخت عقيدتى لدرجة تخطت معها مرحلة التفكير وامتدت إلى التأثير فى عاداتى وتصرفاتى بل غيرت أسلوب حياتى. عند ذلك أخذ والداى يعربان عن أسفهما لما سببت لهما من مضايقات بامتناعى عن الخمر ولحم الخنزير. كما كرها مشاهدتى ملفوفة فى غطاء رأسى والاحتفاظ بهذه الهيئة فى غدواتى وروحاتى، والحقيقة أنهم. كانوا يوجهون جل اهتمامهم إلى ما يقوله الناس عنى، ولم يكن يهمهم أمر الاعتقاد والإيمان، إلا أن أصدقائى الانجليز كانوا على النقيض من ذلك، فقد كانوا يتمتعون بمقدرة كبيرة على المناقشة والجدل، وكانوا يقبلون كل شىء يثبت بالدليل العقلى، وعندما كنت أحدثهم عن التصور الإسلامى ومقوماته فى الحياة الاجتماعية كانوا يسلّمون بحكمته وسموه. وذات مرة حدثت مناقشة بينى وبين بعض الأصدقاء حول موضوع تعدد الزوجات فى الإسلام والحدود التى فرضها الله فيها. فشرحت لهم وجهة النظر الإسلامية وقارنت ذلك بما يقابله فى الحضارة الغربية فاقتنع الجميع أن التعدد الإسلامى يعتبر أفضل حل لبعض جوانب الحياة الزوجية.

س : هل واجهت مشكلة أو مضايقة ما على أثر اعتناقك الإسلام؟

ج: إن ضعفاء العقول من غير المسلمين يضمرون تزمتًا شديداً ضد الإسلام. فكثيراً ما يهزأون بالمسلمين ولو لم يفعلوا ذلك أمامهم لمزوهم من وراء ظهورهم. ومن ناحية أخرى لا يختصم هؤلاء الجهلة مع الملحدين والكفرة بل يحترمونهم لما يضمرون لهم من حرية فكرية زائفة! أما الإسلام والمسلمون فيسببون لهم ضيقًا شديداً! ورغم ذلك كله أقول بإننى لم أواجه أية صعوبة تذكر فى هذا السبيل، ولعل مرد ذلك إلى إننى طالبة جامعية فى معهد الدراسات الشرقية والإفريقية فلم أكن أحتك إلا بأناس يعرفون شيئاً عن الديانات والعقائد. إلا إننى أشعر بما يقاسيه كثير من المسلمين. فالمسلمون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

س : هل لى إن أسألك عن مستوى ثقافتك الإسلامية؟

ج: اقتصرت دراستى للإسلام على الكتب التى وصلت إليها يدى. كما تعلمت كثيراً من أسئلتى التى وجهتها لبعض العلماء المسلمين ومن مناقشتى لبعض المسلمين فى

شتى الأماكن. وفى العام الماضى تعلمت التصور الإسلامى الصحيح والفلسفة الغربية من طالب سودانى كان يعقد اجتماعًا أسبوعيًا يؤمه فى العادة عشرة أشخاص، حيث كنا نقرأ الترجمات المهمة لمعانى القرآن الكريم ونقارنها بالنص العربى كما نناقش كل آية حسب فهمنا لها. ويؤسفنى أن أذكر إنه بعد سفر هذا الأخ السودانى لم أجد أحداً فى لندن لديه من العلم والحماس ما يدفعه إلى مواصلة هذا العمل بصفة مستمرة.

س : هل تعتقدين أن الإسلام يمكن أن يؤثر فى الحضارة الحديثة بأى شكل من الأشكال؟ وما نوع هذا التأثير؟

ج: يعيش العالم الغربى اليوم فى ظلام، وليس هناك أى بصيص من الأمل فى قيام الحضارة الغربية بتوفير سبيل لتخليص الروح والنفس. فكل من يعرف الوضع الحقيقى للمجتمعات الغربية يلمس هذا القلق والحيرة العالمية، التى تختفى خلف بريق التقدم والأبداع المادى الزائف. فالناس فى الغرب «والشرق» يبحثون عن مخلص من العقبات التى تحيق بهم. ولكنهم لا يرون منها مخرجًا. فبحثهم عقيم. وليس أمامهم إلا أن يواصلوا سيرهم نحو جحيم الفناء والكارثة. لكن الانسجام اللطيف فى الإسلام بين مستلزمات الجسد ومتطلبات الروح يمكن أن يمارس تأثيراً قويًا فى أيامنا هذه . وبوسعه أن يبين للحضارة الغربية السبيل المؤدى إلى الفلاح والخلاص الحقيقيين، وأن يقدم للرجل الغربى التصور الحقيقى للحياة، وأن يقنعه بالجهاد فى سبيل مرضاة الله مما من شأنه أن يضمن له الفوز فى الآخرة، نسأل الله أن يقدر لنا النجاح فى الحياة الدنيا والآخرة.

س : ما خير سبيل فى رأيك لنشر الإسلام؟

ج: قبل أن نحرص على نشر الإسلام لابد أن نرتفع بحياتنا وأفعالنا إلى المستوى اللائق بديننا. قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[النحل: ١٢٥]. ويقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢] فإذا أصبحنا دعاة مخلصين للإسلام فلا داعى للقلق على شىء. فلابد لنا أن نفهم الإسلام فهما حقيقيًا وكاملا. وعندها فقط وبتطبيق ما نفهم نكون دعاة للإسلام بمعنى الكلمة. فتسهل علينا حينئذ الإجابة على كافة الاستفسارات والاعتراضات

ونكون قدوة عملية لما ندعو الناس إليه . ولا شك أن توفر الكتب الإسلامية الناضجة يفيد كثيراً فى تحقيق ذلك. فأثر الكتاب أبلغ بكثير من أثر المناقشة والجدل. ولسوء الحظ ليس هناك كتب إسلامية كثيرة باللغة الانجليزية(*) وختاما أؤكد أهمية القدوة الصالحة. فمن واجبنا أن نكون نماذج حية لما يأمرنا به القرآن.

س : هل هناك عقبات خاصة تعترض سبيل المسلمين فى بريطانيا بالذات ؟ وما هذه العقبات ؟

ج: إذا قامت أسرة إنجليزية بكامل أفرادها باعتناق الإسلام، تتلاشى جميع المشكلات وتعيش بسلام لأنها تطبق منهاج الحياة الاجتماعية فى الإسلام ولكن عندما يهتدى إلى الإسلام شخص واحد فقط - شاب أو فتاة غير متزوجة فى أسرة غير مسلمة - فلابد أن يواجه كل منهما صعوبات جمة. ولابد أن يشعر باستمرار أن المجتمع البريطانى وبيئته العامة ليس مجتمعهم ولا بيئتهم. ولما كان الواحد منهما يعيش فى مجتمع جاهلى لذلك لابد أن يواجه كثيراً من المشقة فى إقامة الصلاة والصوم فى الأوقات المحددة لذلك، أما الأسر المسلمة فلا يشكل ذلك أية مشكلة بالنسبة لها. ولكننا نحن المسلمين فى بريطانيا بحاجة ماسة إلى علماء يمثلون الحضارة الإسلامية قولا وعملا، ويعينون المهتدين إلى الإسلام على فهم القرآن والسنة. فكثير من هؤلاء يريد أن يفهم الإسلام ولكنه يعدم الوسيلة لذلك. ومما يؤسف له أن المراكز الإسلامية فى لندن لا تفعل شيئاً من ذلك بل يقتصر الأمر على الطلبة المسلمين دون غيرهم، وهؤلاء ليس لديهم الوقت الكافى للقيام بهذه المهمة.

ولابد أن أنوه فى ختام حديثى إلى ما لاحظته من إعجاب الشباب المسلم الناشىء بمنجزات الغرب الزائفة، فخدعوا ببريقها وعموا عن زيفها. كما أود أن أسجل هنا حبى الشديد للعلاقات الأسرية المتينة والحياة العشائرية الاجتماعية التى يتمتع بها المسلمون . فلو قارنّاها بالحياة الاجتماعية الغربية لظهر لنا سموها ورفعتها. حبذا لو قامت حياة اجتماعية إسلامية بالمعنى الصحيح. لأنها هى الحياة الرائعة!

اللهم اجعلنا مسلمين مخلصين وفقنا لما يرضيه الإسلام آمين

(*) الناشر: يبدى استعداده لتوفير الكتب الإسلامية ولمن شاء عليه مراسلة الناشر، وكذلك الرجوع إلى المراكز الإسلامية المنشور أسماؤهاوعنوانيها.

بلچيكا :

٣. هُــدَى ✿

(بوليت غيو سابقاً)

قصة من بلچيكا

مقتطف من مجلة حضارة الإسلام العدد السادس يناير ١٩٦٤م

- ١ -

على مقربة من جامعة بروكسل، حيث شارع (١٠، فيلا ١٩) وفى حى فخم يجاور بحيرتى (اكسل) الرائعتين، يقع ذلك البناء الذى شاء القدر أن يكون مركز الدائرة فى أحداث هذه القصة..

مَنْزِلٌ وَجِيرَانٌ :

هذا البناء الأنيق ذو المدخل الواحد، يتألف من طابقين فى الأعلى أعدا للأجرة، ثم طبقة أرضية استقلت بها الأسرة المالكة للبناء، وكانت أثناء ذلك تتكون من السيدة (نيلى) التى أوغلت فى العقد السادس وقرينها السيد (بلانشار) الموظف المتقاعد الذى لعله لا يسبقها بأكثر من خمس سنوات، وإن كان ظاهرهما يخدع الناظر عن حقيقة عمرهما، فلا يقدر لهما معًا أكثر من العقد الخامس، ومرد ذلك إلى تلك الحياة الهنيئة التى يعيشانها، بل يصنعانها بحسن تفاهمهما وتدبيرهما.. وإنها لحياة هادئة لينة، يطبعها التهذيب الرفيع والرغبة فى إيثار الكلمة الطيبة. و لا شك أن للتربية المدنية العريقة أثرها العميق فى هذا اللون من الحياة، يضاف إليها أن الزوجين يعتمدان فى معيشتهما بالدرجة الأولى على ما يتقاضيانه من أجور للطابقين العلويين، ومن شأن أمر كهذا أن يجعلهما شديدى الحرص على مرضاة النزلاء أيًا كان لونهم وجنسياتهم.. مما جعل المستأجرين أنفسهم شديدى الارتياح إلى جوارهما، فلا يكاد النزيل يفارق ملكهما إلا إذا اضطره إلى ذلك سفر أو هجرة... ولهذه الميزة كان نزيلا الطابق الثانى - من

✿ ساهم بهذه القصة الأستاذ محمد المجذوب - وهى قصة واقعية بأشخاصها وأحداثها.

الطلاب السوريين - على أتم الرضى بمجاورة هذين المخلوقين، إذ يجدان في هدوئهما وحسن معاملتهما الجو الذى تتطلبه دراستهما، وطريقة حياتهما، التى تخالف إلى حد بعيد طريقة الكثيرين من أبناء بلدتهما...

أما الدور الأول من هذا البناء فقد أصبح من حظ شخصين من الأوروبيين ظلا حتى الآن، على الرغم من مرور ستة أشهر على سكناهما، مجهولين، لا يعرف أحد فى البناء كله من أمرهما شيئًا، سوى أن أحدهما امرأة فرنسية من مواليد بلچيكا اسمها (بوليت غيو)، وأن ثانيهما رجل هولندى يرجح أنه بغير عمل، لأنه قلما يغادر الدار، إلا يوم الأحد، حيث يخرج مع هذه المرأة فى رحلة تستغرق أكثر النهار، وقليل من الناس يعرف اسمه.

ولقد عرف النزيلان جنسية هذين الجارين المجهولين عن طريق صاحبة الدار، التى كان لابد لها عند تأجيرهما من أن تعرف بعض الأشياء الضرورية عنهما، ومن ذلك عمل المرأة التى سجلت بجانب اسمها أنها تقوم بمهمة (سكرتيرة) لمدير القسم الخاص بسيارات (فولكس فاجن) من شركة (اتيره ن) لصناعة السيارات...

وبدافع من الفضول الشرقى سأل عدنان - وهو أصغر الأخوين الطالبين - صاحبة الدار عما إذا كان ذلك الرجل الهولندى زوج المرأة.. فنفت ذلك، وذكرته بأن هذا الأمر لا يهمها، بل لا يهم سواهما، وكل ما يعنيها منهما هو أن يكونا جارين مهذبين، وأن يؤديا أجرة الدار تامة فى الموعد المعين.. وكلا الأمرين مؤمّنان على أكمل وجه...

وكان مألوفًا أن يتلاقى الأخوان وهذه الجارة الفرنسية معظم الأيام، على مدخل الدار السفلى، أو أثناء الدرج فلا يكون بينهم أكثر من تحية طائرة تفرضها المجاملة. دون أن تجر وراءها كلمة واحدة.. على كثرة ما تكررت..

تَبَرُّجُ الجَاهِلِيَّةِ :

على أن أكثر ما يلفت النظر فى هذه المرأة هو عنايتها الصارخة بزينتها اليومية، فهى بالرغم من أنها لا تستطيع حجب سنها الناطقة بما فوق الأربعين، لا تكاد تفارق الدار إلى عملها فى الصباح إلا بعد أن ينال كل عضو من جسمها حصته من التبرج الغالى.. ومع أن التبرج فى الحياة الأوروبية هو الطابع الرئيسى فى المرأة.. تفتن به

لتفجر الكمين المتماسك من رغبة الرجل، غير أنه فى هذه المرأة يعدو المألوف من ذلك.. إذ لا تعرف فيه حداً للاعتدال، فالأحمر الذى تقتنع منه الأوروبية بالقليل على حافة الشفتين، يتجاوز عندها المجال الذى حدده العرف، حتى يصبغ مساحة أبعد حولها.. والثوب الذى ترك واجب الستر حتى أصبحت وظيفته مجرد الإغراء.. قد بات على جسدها أقرب إلى (تبان) السباحة، فلا يستر بمقدار ما يجسِّم.. حتى نظارتاها ذاتا الإطار الذهبى الأنيق لا تستعملهما لتعديل النظر بمقدار ما تريد منهما الإثارة...!

وبأوجز تعبير: كانت المرأة انموذجًا من الاستهتار الذى لا يقيم وزنًا لأى مقياس أو تقدير...

ومع ذلك كله فهى تمر بالطالبين وزائريهما، كما تمر بالآخرين من الناس فى الشارع والترام والسيارة والشركة نفسها متجاهلة الجميع، لا تثبت نظرها فى وجه، إلا بمقدار ما يتطلب الموقف.. فكأن غرضها الوحيد من ذلك الاستهتار هو فقط اجتذاب الأبصار، وإثارة الفضول دون أى شىء آخر...!

-٢-

هَدِيَّةٌ وزِيَارَة :

وحدث ذات يوم أن محمداً، وهو أكبر الطالبين، قد عاد من أجازته الصيفية فى دمشق، ليستأنف دراسته بقسم الدكتوراه فى الكيمياء الصيدلية، وكدأبهما فى مثل هذه المناسبة كان عليه أن يخص جيرانه ببعض الهدايا الشرقية، فملأ لصاحبى البناء طبقًا من الحلوى، ثم مضى بمثله إلى جاريهما الجديدين المجهولين.. وعلى مدخل الدور وقف يضغط الجرس، وينتظر.. ولما أطلت الجارة الفرنسية تتعرف الطارق فوجئت بما لم تتوقع.. وجمدت قليلا قبل أن ترد تحيته ثم سألت فى لهجة لم تخل من الاستغراب: ماذا ؟

ومد محمد يده بالطبق الشهى، وهو يقول إنها هدية صغيرة من حلويات دمشق، قدمت مثلها إلى جيراننا الآخرين، فهل تتكرمين بقبولها ؟

وسكب محمد هذه الكلمات فى عبارة فرنسية أنيقة، اختار لها الكلمات المناسبة،

وانثالت على لسانه فى صوت حيى سرعان ما بعث الاطمئنان فى قلب المرأة، فتناولت الهدية شاكرة، ودعته إلى الدخول وألحت بذلك، فلم يسعه إلا الاستجابة.. واتخذ مجلسه إلى يمين الهولندى الذى قدمته إليه باسم رفيقها السيد (....؟ ...) والذى لم يعره إلا قليلا جداً من الاهتمام، إذ سرعان ما عاد إلى محفظة الصور التى بيده يقلب فيها النظر..

ودخلت بالهدية إلى غرفة الطعام، ثم عادت ومعها صحفة فضية يعلوها قدح صغير مذهب.. وانحنت وهى تقدمه إليه.. ولكن محمداً وضع يده على صدره وهو يعتذر، سأكون شاكرا إذا أعفيتنى.

- ولكنها خمر جيدة من أحسن أنواع الكونياك.

- لا أشك فى حسن ذوقك.. ولكنى لا أشرب الخمر..

- لماذا ؟

- مسلم!!..

وانزلقت الكلمة فى عفوية ممزوجة بالدهشة وجمدت عيناها لحظة على وجه ضيفها، إنها تريد أن تتبين خصائص هذه الكلمة الغريبة من خلال ملامحه وقسماته.

الإسلام المجهول:

ولم تشأ أن تحرج الفتى بالإلحاح.. فوضعت الكأس فى الصفحة الفضية على النضد النصفى، ثم أخذت مجلسها فى مقعد مجاور، وجعلت تنظر إليه، وهى تقول: الإسلام! هذا شىء أذكر أنى قرأت عنه فى بعض الكتب.. وقد أعجبنى منه دعوته إلى النظافة.

فقال محمد: إن النظافة فى الإسلام من الصفات الأساسية.. ولكنى أرجو مع ذلك أن يكون الكتاب الذى قرأته عنه من الكتب النظيفة، التى لا تعتمد تشويه الحق.

ويظهر أن حرارة اللهجة التى مازجت كلمات الفتى قد استهوت مشاعر المرأة فعقبت تقول: الحق أننى لم اقرأ الكثير عن هذا الدين الشرقى، ولم أتعمد البحث عن مضمونه.. حتى أننى لا أذكر بالضبط أين قرأت عنه.

وكان محمد يستمع إلى تلك العبارة، وهو يجيل بصره فى الكتب المنضودة بأناقة على رفوف الخزانة التى بجانبه، فقال دون أن يحول بصره عنها: يبدو أن السيدين مولعان بالمطالعة.. وفى الكتب الفلسفية بخاصة؟!..

فلم ينبس الرجل بحرف.. واكتفى بزم شفتيه كأنه يرفض المشاركة فى الحديث.. أو يشير إلى عدم اهتمامه بالمطالعة، ولكن المرأة أجابت: المطالعة أحب هواياتى.. وخاصة فى الفلسفة والأدب..

الهَدِيَةُ الثَّانِيَةُ :

قال: هل ترغبين فى قراءة شيء عن الإسلام؟.. لدى كتاب بالفرنسية ذو أسلوب أدبى معجب.. وفيه كثير من الحقائق الموضوعية عن هذا الدين.. الإلهى.

وتعمد استخدام كلمة (الإلهى) ليجعلها مقابل كلمة (الشرقى) التى وردت فى تعبيرها.. وقد عنى بإخراجها فى نبرات خاصة تلفت الانتباه.. فلم تتردد أن قالت: سأكون شاكرة إذا أعرتنى هذا الكتاب ما دمت واثقاً من موضوعيته..

ولم يشأ أن يؤخر الأمر فاستأذن ليأتيها به.. وما هى إلا دقيقتان حتى أقبل عليها.. وهو يقول: إنه مقدمة لكتاب ضخم ألفه مصرى أسمه (عبدالله دراز) بعنوان (أخلاق القرآن).. لينال به إجازة الدكتوراه من باريس[1].

وقبل أن يغادر باب المنزل للمرة الأخيرة التفت إلى المرأة يقول: لعل سؤالا ما يخطر فى بالك أثناء قراءته.. فلو كتبت ذلك لكان فرصة حسنة لبذل ما نستطيعه من الخدمة.

-٣-

إخْوَانٌ وَنَشَاطٌ مُبَارَك :

كانت شقة محمد وأخيه عدنان أشبه بمكتبة الجامعة، يرتادها العديد من الطلاب العرب فى مختلف أوقات النهار.. وقد تطور أمرها أخيرا حتى أصبح بين روادها

---

(١) الدكتور محمد عبدالله دراز كان من كبار علماء الأزهر الشريف، توفى فى (لاهور) الباكستانية ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨ م أثناء مشاركته فى مؤتمر إسلامى، وقد ترجم كتابة إلى اللغة العربية تحت عنوان: (دستور الأخلاق فى القرآن).

الأفريقي الأسود، والهندى الأحمر، والألباني الأبيض.. وبذلك لم يقف دور الشقة عند حدود المذاكرات الجامعية، بل تجاوزها إلى المدارسات الإسلامية، والعبادات الجماعية وطبيعي أن هؤلاء الرواد لم يكونوا من طبقة الطلاب وحدها بل تعددت هوياتهم كما تعددت جنسياتهم، ففيهم الطالب والعامل والتاجر.. والفقير والثرى يفدون إلى الدار من أنحاء العاصمة، ليتعاونوا على فهم دينهم، وتجديد عقيدتهم، والبحث في شئون شعوبهم وأوطانهم.. وقد رأوا أن يخصصوا يوماً من الأسبوع يتلاقون فيه على حصص منظمة من الدراسة والعبادة، فحصص للقرآن، وأخرى للحديث، ومثلها للفقه، ووقت خاص لبعض المؤلفات الإسلامية الحديثة.. وفترات خاصة للاستجمام، وللعبادة.. وهكذا كان يوم الاثنين من كل أسبوع هو اليوم الجامع لهؤلاء الرفاق، يتزودون منه بما يعوزهم لبقية الأيام، ويتهيئون له بالأفكار الجديدة، والأسئلة العديدة..

وفي جو هذه الاجتماعات يتعذر على من يحضرها لأول مرة أن يعرف مؤسسيها ودعاتها، لأن روح الأخوة لا تدع مجالا لأى تمييز بين الواحد والآخر، لكن القدامى منهم يعلمون أن الأخوين الدمشقيين محمداً وعدنان.. هما نقطة الإنطلاق والارتكاز في هذا التجمع، وقد بدأ جهدهما في نطاق العمل القومي بعقد المؤتمرات الطلابية للدعوة إلى قضايا الوطن العربي.. ولمجابهة الدسائس الصهيونية، ولكن سرعان ما ألفوا أنفسهم أمام خيبة محزنه، إذ وجدوا هذه المؤتمرات لا تتجاوز حدود الجعجعة إلا قليلا، وكثيرا ما تبدأ حتى تستحيل معارك تلعب فيها الأيدى والمقاعد وقناني الشمبانيا.. ثم يخيم عليها الصمت، ويعقب الصمت النسيان.. فلا حركة.. ولا بركة.. وكأن الله قد كون هذين الفتيين ضرباً مميزا من الناس، فهما ينظران إلى الحياة من خلال الواجب والمثل التي جاءا بها من دمشق، وقلما تمضى عليهما ليلة دون أن يحاسبا نفسيهما على ما صنعا في نهارهما، وطبيعي أن مثل هذه النفوس يستعصى انقيادها إلى مثل هاتيك التمثيليات، التي لا حصيلة لها سوى التنافس المؤسف على أمجاد وهمية لا وجود لها خارج أذهان الفارغين.. ومن هنا كان عليهما أن يشقا لنفسيهما طريقا آخر إلى عمل مثمر، ينسجم مع أخلاقهما التي لم تألف الانحراف عن سبيل الحق.. وهكذا انتهيا إلى الاتفاق على مخطط مدروس، ذى شعبتين: أولاهما ذاتية تتركز في تعهد نفسيهما بالجهاد المتصل، سواء في حقل الدراسة، أو التهذيب الروحي، حتى يحصناهما من تلك

المفاسد.. التى تكتسح الكثرة من مواطنيهم فى مختلف أقطار أوروبا..أما ثانيتهما فموضوعية وبالأصح إنسانية تستهدف تنظيم الطاقات الإسلامية فى نفوس الشباب المؤمن، ليس فقط فى بروكسل، بل فى أى مكان يمكن أن يتاح لهما الاتصال به فى بلجيكا وخارجها.. وقد امتلأت نفساهما يقيناً بأن هذا هو الطريق الأمثل لخدمة القضايا العربية، ولمبارزة الدعاية الصهيونية فى مختلف الميادين، لأن الفرد الذى سيعمل فى نطاق هذا المخطط لن تصرفه شهوة عن الواجب، ولن يراوده الكسل لصده عن مواصلة الجهد: مهما يطول طريقه..

ومنذ ذلك اليوم بدأ نشاطهما فى نفسيهما والأقربين من رفاقهما.. ثم مضوا جميعاً متعاونين فى توسيع مجالات هذا النشاط، حتى استطاعوا أن ينقلوا خطواتهم الأولى فى سبيل إنشاء المركز الإسلامى الذى يحلمون به.. وكان ذلك حين أحرزوا موافقة الحكومة البلجيكية على إعطائهم البناء الخاص بالحكومة التركية فى معرض بروكسل.. وهو البناء الذى أنشئ على صورة المسجد بقبته ومنارته، ثم أصبح فارغاً معطلا بعد انفضاض العرض.. وها هم أولاء يعدون عدتهم منذ اليوم ليقيموا فيه صلاة عيد الفطر الذى بات موعده وشيكاً.. ثم ليجعلوه فيما بعد مسرح نشاطهم الذى لم يعد يتسع له البيت..

وقد أصبح لديهم مكتبة متنقلة تحتوى طائفة من أنفس الكتب الإسلامية بالعربية وغيرها، وتقدم بطريق الاستعارة للرجال والنساء على سواء.. ولقيت حركتهم عطفاً مشجعاً لدى بعض السفارات الإسلامية، وبخاصة سفارة السنغال التى يقوم على رأسها رجل من أصح المسلمين عقيدة وغيرة، يحيط به قلة من الموظفين لا يقلون عنه حباً للإسلام، واهتماماً بشؤون المسلمين، ولم تعد حركتهم محصورة فى حدود المسلمين وحدهم، بل بدأت الاتصال بعناصر مثقفة من البلجيكيين والأوروبيين أنفسهم، وها هو ذا عدد منهم نساء ورجالا يحضرون اجتماعاتهم الأسبوعية، ليستمعوا إلى معانى القرآن والحديث، وليشاركوا فى مناقشة الأفكار المختلفة التى تقرأ فى بعض هذه الاجتماعات عن الإسلام والمسلمين.

وفى هذه الغمرة من العمل الدائب كاد محمد ينسى تلك الجارة الفرنسية والكتاب الذى أعارها إياه، لولا ذلك اللقاء اليومى الذى يذكرهم بها عند مدخل البناء، أو على الدرج المشترك، فلا يزيد عن تحية يوردها ثم يمضى كل فى طريقه دون سؤال..

ولكن حدث اليوم شىء جديد لم يعهد مثله منذ حلت هذه المرأة ورفيقها مكانها من هذا البناء..

الانقلاب الكبير:

كان اليوم هو الأثنين، موعد الاجتماع الأسبوعى، وبينما الشقة مكتظة بالرواد مالئين غرفها الثلاث وردهتها الواسعة، إذا بصوت الفرنسية يقتحم عليهم الشقة صاعداً من تحت.. وفيه تعنيف يصل إلى مستوى الإهانة، موجهاً إلى الرفيق الهولندى.. دعنى.. إلى متى تمص مالى، وأنت لاصق بمقعدك كالعنكبوت؟!.. لم أعد أطيق رؤيتك..

ويرتفع صوت الهولندى خلال ذلك، ولكن فى لغة خليط لا يكاد يفهم منها شىء.. ثم لم تلبث الضجة أن همدت وأعقبها وقع أقدام الرجل يهبط السلم وهو يقذف باللعنات يميناً وشمالا..

ولم يستطع محمد إلا أن يستكشف النبأ فهبط إلى الدور الأرضى يستوضح السيدة (نيلى بلانشار مالكة البناء) الأمر فإذا هى تخبره أن هذه الفرنسية بدأت تضيق بوجود ذلك الرفيق منذ أكثر من شهر.. وقد أعلمتها أمس أنها قد تضطر قريباً لمغادرة المنزل إلى شقة صغيرة تكفيها وحدها..

ويبدو أنها قد تخلت عن الرجل.. فهى إذن على وشك الانتقال من البناء كله..!

وكأن محمداً وجد فى هذا الخبر الشىء الذى هو بحاجة إليه.. فلم يتمالك أن قال لصاحبة البناء: «بوسع هذه الجارة أن تحتل مكاننا إذا كانت تؤثر شقة صغيرة.. على أن ننزل نحن إلى مكانها.. لأننا بحاجة كما ترين لدار أوسع..».

ولم تر المرأة مانعاً من تحقيق هذا المقترح فوافقت بسرعة.. وأخذت طريقها إلى فوق وهى تقول لمحمد: ذلك خير لكم ولنا.. لأننا لا نتوقع جاراً أطيب منها..

- ٤ -

وعاد الإخوان مساء ليجدا كل شيء قد تم على ما يرام بل فوق المرام.. لقد بدلت الدار بالدار، ورتبت أشياءهما، من كتب وثياب وحقائب وما إلى ذلك مما يملك المسافر، في أمكنتها المناسبة من المنزل الجديد.. وكانت الدار بأثاثها الأصلي الفاخر غاية في الأناقة التي يحلم بها طالب في منزل أجرة (بانسيون).. فاستشعرا روح الهناءة، ووقفا هنيهة يخططان للاجتماعات المقبلة.. ولم ينسيا أن يخصصا قاعدة مناسبة لصلاة الجماعة وقيام الليل المشترك في أوقاته الأسبوعية.. وأشد ما أدهشهم منظر بياضهم مغسولا مطوياً، وثيابهم منظفة مكوية، وقد نسقت على مشاجبها في الخزائن! فقدرا فضل الجيران الذين نهضوا بهذا العبء متبرعين، وهمَّا بالهبوط إلى الدور الأرضي ليشكرا السيدين على جهدهما المبرور، ولكنهما فوجئا بالجرس يدق، ولما فتح الباب أطلت منه المرأة الفرنسية تحييهما، وتسألهما إذا كانت ثمة من خدمة أخرى تستطيع تقديمها لهما؟ عند ذلك شكرها الإخوان ودعواها للدخول.

واستجابت المرأة لدعوتهما، فجلست لترشف قدح الشاي الذي صب لها.. وقالت رداً على الثناء الذي وجهاه إليها.. لم أفعل شيئا كبيراً.. لقد وجدت نفسي في فراغ الأحد، وكان لابد من نقل أمتعتي إلى داركما الأولى كما اتفقنا، فبدلا من أن أعود فارغة إلى فوق في كل مرة كنت أحمل بعض أمتعتكما في طريقي، بمساعدة الجارة الكريمة صاحبة البناء، ثم وجدت لدي بقية من فراغ فسليت نفسي بإنجاز بعض الأشياء التي قد يضيق وقتكما عن إنجازها في الوقت المناسب.

قال عدنان: ولكن هذا كثير أيتها الجارة المحترمة..

قال محمد : لقد وضعتنا بذلك تحت عبء من الفضل قد نعجز عن مكافأته.. وهنا أثبتت نظرها قليلا في وجه الفتى الذي صبغه الحياء، وبرق ببوادر الشعور بالجميل.. ثم قالت: «بل لعل الأمر على العكس.. ولو علمت ما أحدث كتابك - الذي أعرتني - في نفسي لأدركت أنك أنت المتفضل..».

الإسلام العظيم:

وفجأة وثب إلى خيال محمد صورة تلك الليلة التى طواها وراء ستة أشهر، وتذكر الكتاب الذى أعارها إياه.. فقال: أرجو أن يكون وقتك قد اتسع لقراءة الكتاب!

- لقد أعدت قراءته خمس مرات..

- وبالطبع كتبت ملاحظاتك عليه..!

- الملاحظات كثيرة.. ولكنى لم أكتب واحدة منها خارج قلبى.. أجل.. لقد نقشت انطباعاتى بالكتاب هنا .. على صفحة قلبى التى لا تقبل المحو.

وسكتت وسكت الفتيان يفكران بما يسمعان.. وينظر كل منهما إلى الآخر دون كلام.. حتى عادت المرأة تقول: كنت أحسب أن تجاربى الماضية كانت كافية لصرفى نهائياً عن أى تفكير دينى.. ولكن هذا الكتاب قد كشف لى بشكل مباغت أننى على أتم الجهل بجوهر الدين، وأننى لأول مرة أجد نفسى فى مواجهة الحقائق الإلهية، التى قضيت شطراً كبيراً من عمرى فى البحث عنها بغير طائل..

قال عدنان: ذلك حال طبيعى.. فالقلب الإنسانى كالقفل الدقيق لا يستجيب إلا إلى مفتاحه وليست الحقائق الإلهية إلا ذلك المفتاح..

- تمثيل رائع.. واستطيع القول بنتيجة خبراتى الشخصية أن هذه الحقائق هى وحدها التى تروى عطش القلب الضائع فى صحراء المجهول.. وكل تفكير دينى مجرد عنها هو كالماء الملح لا يزيد النفس الظامئة إلا تلهفا واحتراقاً..

وفى غير تعمد انسرب بصر محمد يجول فى مظهر هذه المرأة، كأنه يفتش عن الدليل الذى يؤكد أنها جادة فى الذى تقوله، فإذا هو يصطدم بالواقع.. الواقع البعيد عن كل صلة بهذه الحقائق..!

إن الأحمر الذى يغرق شفتيها.. والركبتين تشدان النظر إلى ما وراءهما فى إغراء وقح.. والضغط الصارخ الذى يلصق الثوب القزم بكل جزء من أنحاء هذا الجسم المصنَّع.. والذى لا يزال محتفظا بالكثير من مغريات الفتنة ..كل أولئك من شأنه أن

يفرغ كلامها المحكم من كل معنى جاد.. وبخاصة فى مقياسه هو الذى لا يستطيع التفريق بين الفضائل الروحية وسلوك مدعيها.. ولذلك لم يستطع منع وجهه من ابتسامة خفيفة لا يفوت الذكى ما وراءها!!.

وعادت الفرنسية إلى الكلام: «لقد اطمأن عقلى وقلبى إلى هذا الدين.. وأريد أن أسألكما عن السبيل إلى اعتناقه..»؟

قال محمد: إن مجرد الاقتناع به اعتناقه.. ويبقى إعلان ذلك بالشهادتين أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله..

- فأنا أشهد أن لا إله إلا الله، لأننى مقتنعة من قديم بهذه الحقيقة وأما رسالة محمد فلا ينكرها إلا كافر بعقله، أو كاره للحق.. فهل أنا إذن مسلمة الآن؟!

دِينٌ وَدُنيَا:

- بالتأكيد.. ولكن هناك مشكلة..

- مشكلة.. وما هى؟

- هى إن الإسلام نظام كامل.. يؤخذ جملة لا تفاريق.. وهو يفرض على معتنقه سلوكاً معيناً، ومظهراً خاصاً، وخلقاً مميزاً بحيث يمثل فى شخصه المتميز، الخطوط العملية الكبرى لحقيقته الإلهية.

- أدركت هذا من سلوككم.. الذى أعطانى فى الواقع كثيراً من التفسيرات التى لم يتسع لها الكتاب.. لقد سئمت الأديان التى تفصل بين السلوك الشخصى والمعبد .. وتتساهل حتى فى الفضائل الرئيسية: فلا تتورع عن استخدام المسابح المختلطة، والملاهى العابثة، والمراقص المنكرة، كوسيلة لاستبقاء الرباط بينهما وبين الشباب الطائش.. وكرهت من رجال هذه الأديان بوجه خاص وقوفهم فى نطاق الطقوس الرمزية داخل حدود المعبد، فيفصلون بذلك بين المعبد والشارع، إذ يفصلون بين لحظات العبادة وبقية الحياة، فيكتفون من المتدين أن يظل على صلة بمعبدهم ولو ساعة فى الأسبوع، ثم لاعليه بعد ذلك أن ينطلق وراء غرائزه فى سباق محموم لا يعترف بأية رقابة لعين الله،

ولا أية مسئولية تجاهه.. ! وذلك بخلاف الإسلام الذى تبين لى أنه من الشمول بحيث يعتبر الأرض كلها معبداً، وكل عمل صالح عبادة ما دام المؤمن يأتيه وهو مستهدف رضوان به.. ومن هنا كان المسلم الحق صورة صحيحة للإسلام.. وهو لا شك سعيد بذلك، لأنه لا يستشعر أى تناقض بينه وبين قوانين الطبيعة من حوله وفى داخله، بل إنه ليشعر بديل ذلك بأتم الانسحاب بينه وبين الحياة وأن كل شذوذ عن موجبات هذا الدين مؤد إلى شقائه، لأنه تصادم مع مبادئ الحياة نفسها..

وأمسكت قليلا تحدث فى ما بين يديها دون تركيز على شىء بعينه، وقد غرق البهو كله فى صمت عميق، وأطرق كل من الفتيين مثلها يسبح فى غمرة هذه المعانى، التى فتحت أمام نفسيهما آفاقاً مانعة، يخيل إليهما أنهما يستشرفانها لأول مرة.

دِينُ الفِطْرَةِ :

وقطعت الصمت كرة أخرى لتقول: «من أجل ذلك استجابت نفسى كلها لهذا الإسلام، إذ وجدت فيه دعوة الله المتجاوبة مع أعماق الفطرة الإنسانية.. وقد صممت على أن أخضع جميع تصرفاتى إلى أحكامه..»

ولم يشأ محمد أن يؤخر ملاحظاته أو يجمجم بها فقال: ولو قضت هذه الأحكام بتغيير نظام حياتك كله؟!

وفى تصميم قاطع أجابت: وما فائدتى من الإسلام إذا هو لم يغير طريقتى فى الحياة!.. وهل تظن أننى كنت راضية عن نفسى.. ونظام حياتى.. وعن أى شىء مما حولى؟!

ثق أيها الجار الكريم أننى كنت إنسانة ضائعة، بل غريقة يتلاعب بها تيار المجتمع على كره منها ولم تكن تصرفاتى الشخصية جميعها إلا محاولة للهروب من الواقع الحائر، الذى تفرضه علىّ حضارة لا أؤمن بها لأنها حضارة عوراء، لا ترى من الإنسان إلا جانبه الجسدى، ولا تقيم وزنا لأى ظمأ داخلى خارج نطاق المادة، ولقد كان لقائى بك ليلة الهدية أول صدمة شدتنى إلى الاتجاه الآخر.. ثم جاء كتاب الدكتور دراز فدفعنى شوطاً بعيداً فى هذا الطريق وكان لطريقة حياتكم فى هذا الجوار الطيب أثرها العملى

فى صيرورتى إلى هذا التقرير المطمئن.. وأنا اليوم بما أدركته من هذا الدين أشعر بأننى عثرت على نفسى ووجدت حقيقتى، ووضعت قدمى فى الطريق السوى.. فكيف لا أخضع وجودى كله لحقائق الإسلام، وهو الذى أنقذنى من ذلك التمزق، وهدانى السبيل بعد ذلك الضياع الوبيل..

تَكَالِيفُ وَعَقبَاتُ الطَّرِيقِ :

وعقب عدنان على ذلك قائلا: ولكن عناء جديداً ينتظر القابض على هذا الدين.. لعل أهون منه قبض الجمر.. أنه يفرض تطهير الجسد كما يفرض تطهير داخله سواء بسواء.. ويتطلب من المسلمة بوجه خاص التخلص نهائياً من مثل هذه الثياب إلى أشكال أخرى تتم بها الحشمة، دون تضيق ولا تقصير ولا خلاعة.. حتى الشعر لا يأذن بظهوره لأجنبى.. وهناك صلوات خمس فى كل يوم وليلة لا مندوح من أدائها.. ثم صيام رمضان الذى نحن فيه هذه الأيام.. ثم كف النفس عن كل شهوة حرمها الله.. كالخمر والرقص المختلط، والخلوة بالأجنبى.. وأقل ما يجره هذا لاتجاه هو أن تصبحى هزأة لدى الذين سيرون منك كل هذا التغيير دون مسوغ مقنع..

وكف عن الكلام ليرى أثره فى نفسها فإذا هى تقول: أما هذه الثياب فستتغير فى أسرع وقت.. وفى الصلوات الخمس فرص سعيدة يتاح لى فيها أن أروى ظمأ قلبى إلى مناجاة الله.. وسأجد فى الصيام دون ريب متعة رائعة، إذ تعرفنى حاجة الإنسان إلى نعم الله التى ألف ألا يعيرها تفكيراً.. ولقد مجت نفسى تلك الشهوات التى لم تزدنى إلا استشعاراً للفراغ الروحى الذى طالما عانيته.. أما هزء الناس فقد توقعته، ووطنت نفسى على احتمال كل شىء..

ولم يبق لدى الفتيين ما يقولانه بإزاء هذا الإصرار الحاسم.. فاكتفيا بأن قدما إليها الأوراق التى كتب فيها بالفرنسية صيغ الوضوء والصلاة.. وما لا مندوحة عن معرفته للمسلم المبتدئ..

ثم قال محمد: سنكون جميعنا مسرورين باستقبالك أصيل كل اثنين، إذا شئت أن تحضرى معنا بعض الدراسات والعبادات، وسترحب بك أخوات من السنغال وألبانيا وأندونيسيا وأنحاء أخرى من العالم..

كان أول شيء قامت به (هدى) - وهو الاسم الذى اختارته بوليت غيو الفرنسية لشخصيتها الجديدة - أن دخلت فى صباح اليوم التالى على مدير الشركة البلجيكى فقالت له: لدى خبر أرى من واجبى اطلاعك عليه لكى لا يفاجئك..

وابتسم المدير لسكرتيرته فى لطف أبوى وقال:

ابتداء من الغد سترون تغيراً بل انقلاباً فى حياتى كلها، وأول ما تلمحونه من ذلك فى ثيابى التى ستكون أدنى إلى أردية الرواهب..

- لعلك راغبة فى اللجوء إلى الدير!

- كلا.. لا شيء من ذلك.. إنما قررت أن أكون مسلمة..

- مسلمة.. وهل يعنى ذلك أن تتركى الكاثوليكية؟

- هو ذاك لأن الإسلام شيء غير النصرانية المعروفة كلها.. وسأعرفك به عندما تريد..

- ولكن الإسلام كما قرأت وكما أخبرنا بعض القسس يحتقر المرأة.. ويجعلها قعيدة بيتها لا تصلح لأى عمل..!

- ذلك من دسائس أعداء الإسلام الذى لا تعرفه مع الأسف إلا عن طريقهم.. أما الواقع فهو أن المرأة لم تسترد اعتبارها الإنسانى إلا فى ظل الإسلام.. وقد لبثت أحقاباً لا تعدو منزلة الشياطين فى حكم رجال الكنيسة، حتى هبت على أوروبا نفحات الحضارة الإسلامية عن طريق الاندلس والحروب الصليبية، فإذا رجال الكنيسة يعدلون رأيهم فى المرأة ثم لا يزالون يعدلون حتى انتهوا إلى الاعتراف ببعض حقوقها التى قررها الإسلام منذ أربعة عشر قرناً.. ومهما يكن فذلك بحث نرجئه إلى وقته المناسب.. ولكن هذا لن يؤثر على إخلاصى فى عملى بل سيزيدنى رغبة فيه واتقاناً له، لأننى بذلك أحقق أحد تعاليم دينى الجديد..

ولم ير المدير فى أمر سكرتيرته أى أمر ذى بال، ما دام إسلامها لن يحول دون استمرارها على عملها بالنشاط المعتاد نفسه.. وقلب شفتيه ويديه وهو يقول لها: ذلك أمر يخصك ولا يهمنى..

ثم مضت هدى إلى زملائها من مستخدمى الشركة، تنقل إليهم النبأ فى لهجة مثقلة بالجد.. وأكدت لهم جميعاً أنهم ينكرون غداً مظهرها الجديد لأنه مخالف لمألوفهم، ولكنها ترجو منهم أن يدعوها وشأنها، وأن يكونوا على أتم الثقة بأن عقلها لم يتغير، وأنها لن تسبب شيئا من الازعاج..

ثم مضت هدى إلى زملائها من مستخدمى الشركة، تنقل إليهم النبأ فى لهجة مثقلة بالجد.. وأكدت لهم جميعاً أنهم ينكرون غداً مظهرها الجديد لأنه مخالف لمألوفهم، ولكنها ترجو منهم أن يدعوها وشأنها، وأن يكونوا على أتم الثقة بأن عقلها لم يتغير، وأنها لن تسبب شيئاً من الازعاج..

وجاء اليوم الثانى.. وغادرت هدى الشقة إلى عملها اليومى فى زيها الإسلامى الجديد، الذى أعدته لها أختها فاطمة الإندونيسية: ثوب صابغ أبيض يمتد من أعلى النحر إلى أسفل الساق وقد اتسع حتى لا يمثل أى عضو تحته، وخمار زبدى اللون أدير على الرأس، وحول العنق، بصورة لا أناقة فيها ولا سذاجة، وفى القدمين المجوربتين حذاء قليل الارتفاع لا يوحى بأى إغراء أو تبذل.. وقد تعمدت أن تكون نظارتاها من اللون الأسود، لتستطيع حجب تأثيرها من الأشياء المزعجة التى تتوقع أن تراها أثناء اليوم وربما كان أغرب ظواهرها هو هذا الوجه الذى تقابل به الناس لأول مرة منذ ثلاثين سنة ونيف خاليا من كل أثر للزينة أو الطلاء.. فلا أبيض، ولا دهان، ولا أحمر اللهم إلا حمرة الخجل الذى غشى وجهها جميعا بلون ساحر...!

المَوَاجَهةُ الصَّعْبَةُ:

وفى سيارة الشركة، التى اعتادت أن تمر بها كل صباح، تلقت أول صدمة.. وذلك حين انصبَّت عليها أحداث العمال والمستخدمين فاغرى الأفواه من الدهشة.. لا تكاد أعينهم تصدق أن هذه هى سكرتيرة المدير... وحتى الرجال والفتيات الذين أنبأتهم خبرها بالأمس لم يتمكنوا من كتمان دهشتهم فراحوا يتغامزون ويتهامسون وهم يسارقونها النظر.. وفى هذه الغمرة من المفاجآت لم تلحظ مدى أن أحداً رد عليها تحيتها، كأنهم لم يسمعوها أو كأنهم شغلوا عن الرد بهذا المنظر.. حتى جعلت تراجع نفسها فلا تدرى أألقت تحيتها أم صرفها انشغال فكرها عن ذلك..

ولم تتمالك رعشة سرت فى جسدها وهى تستقبل هذه المفاجأة، ثم غلبها الضعف فإذا دمعتان كبيرتان تتدحرجان على خديها، فتسرع إلى مسحهما بمنديل صغير كانت تشغل أصابعها بلمسه وتقليبه..

وودت لو تطير بها السيارة لتخلص من هذا الجو.. وقد قررت أن تلوذ بغرفتها فلا تغادرها إلا لضرورة قاهرة، وأن تتجنب هذه الأنظار فلا تخالط أصحابها إلا بعد أن يألفوا منظرها الغريب!

ولكن سرعان ما خاب فأل المسكينة إذ ما كادت تهبط من السيارة إلى داخل مكتبها حتى فوجئت بالمدير، يطل عليها من الباب الخاص، ليقلب نظره طويلا فى هذا الزى الذى لمحه عن بعد.. والذى سمع المستخدمين يتهامسون بشأنها..

وانتبه المدير إلى موقفه فلم يسعه إلا أن يتكلم أسعدت صباحًا أيتها الآنسة.. أرجو ألا تجدى ما يزعجك طوال اليوم...

وأدركت ما يريد، وتذكرت كلمات عدنان.. وتصميمها السابق، فردت تحيته بكل ما استطاعت من لطف ثم قالت: ليثق حضرة المدير أن لا شىء يزعجنى.. لأننى مطمئنة إلى أن مسلكى هو الأفضل.. وكل استغراب له إنما يرجع إلى بعد المستغربين عن فهم الحقائق الإلهية..

ولم يجب المدير بشىء.. وترك لشفتيه أن تتمتما ببعض الكلمات الغامضة.. ثم انسحب إلى مكتبه...

الصَّبْرُ المَرِيرُ:

وانتفعت هدى بتصميمها، وتذكرت أيضا أن الإسلام يستحق منها أكثر من هذه المزعجات.. أنه غريب فى بروكسل كغربته من قبل فى مكة.. ولقد تلقى أتباعه الأولون، بين اخوتهم الكافرين به، ألوان العذاب فى سبيله، قبل أن تحتل مكانته الطبيعية فى وطنه الأول، فلم لا تحتمل هى اليوم بعض ذلك العذاب؟.. فى سبيل تعريفه إلى الناس فى هذا البلد البعيد عن روحه وحقائقه!!

.. واستمرت حياة هدى على هذا المنوال أياماً طوالا.. لقيت أثناءها الأمرّين من

فضـول الناس.. فلم تجتز شارعاً، ولم تطأ حانوتاً، ولم تركب حافلة، ولم تدخل مركز الشركة إلا سمعت الهمس، ورأت الغمز واللمز.. وقابلت ذلك كله بجلد هائل.. ولكنها ما تكاد تخلو إلى نفسها فى بيتها حتى تستسلم إلى بكاء طويل ونشيج محرق..!

وجاءت صاحبة البناء ذات يوم إلى دار الطلاب، لتخبرهم أن جارتهم التى من حقها أن تكون سعيدة فى عيد ميلادها اليوم قد أغلقت عليها بابها لتنخرط فى بكاء حزين.

وهبطوا: عدنان ومحمد والبلجيكية لاستطلاع خبرها.. وبعدها أكثر من دقيقة استجابت لدعوة الجرس وفتحت لهم الباب، فدخل الفتيان إلى الردهة ليأخذوا مكانهما بانتظارها.. ولما عادت نحوهما فى رداء الاستقبال، كان أثر الدمع لا يزال بارزاً من تحت نظارتيها السوداوين.. ورحبت بهم فى صوت لم تستطع إخلاءه من أثر البكاء..

وتكلم محمد فى كثير من التحفظ: لقد كثرت أحزانك فى هذه الأيام.. ولا بد أنها نتيجة لوضعك الجديد، ولما يواجهك بسببه من مزعجات.. وكان الأولى أن تقابلى ذلك بالصبر الذى وراءه الأجر..

وأنها أحست فى تلك العبارة ما حرك أشجانها من جديد، فلم تستطع منع عينيها من الدمع.. وترددت ملياً تغالب نفسها، وتسترد أنفاسها، حتى استطاعت أن تستأنف «.. حقاً إنها لأحداث مزعجة تلك التى أصادفها فى كل مكان.. ولكنها لا تزيدنى إلا شعورا بالرضا وإشفاقا على هؤلاء المساكين الذين لا يعلمون ما يعملون.. ولعل كثيرا من دموعى وأحزانى لا تعدو أن تكون تعبيرا عن الغبطة الروحية التى تستغرقنى، عندما أشعر بأننى أتحمل بعض التضحية فى سبيل الله.. غير أن أخوف ما يخيفنى هو أن يكون البعض الآخر من هذه الدموع والأحزان نتيجة لضعف خفى فى قوتى الروحية...»

وتهدج صوتها، ثم عاقها النشيج عن متابعة الكلام.. فامسكت لتمسح دموعها وتهدىء أعصابها.

ورأى محمد أن يساعدها على هواجسها فقال: إن مثل هذه الظاهرة تبدو جلية فى جميع الذين هدوا إلى الإسلام من أخواتنا الأوروبيين، وهذا إسماعيل الذى كان اسمه روجيه، كثيرا ما تتهيج مشاعره حتى لا يجد راحة لقلبه فى غير البكاء.. وهذا كما

يبدو لى نتيجة رهافة بالغة فى العواطف، ولدتها الأسواق الروحية والتأمل المستديم فى معانى القرآن الحكيم.. وهنا رفعت هدى بصرها إلى محدثها وقد شاع فى وجهها بشر خفى، ثم قالت وفى صوتها رنة السعادة: «لكم يسرنى أن يكون استنتاجك مصيباً أيها الأخ.. الحق أننى أحس فى قلبى رقة لم أعهدها قبل إسلامى.. وكثيرا ما يطغى علىّ هذا الشعور حتى أغيب فى فيضه عن كل شيء، إلا تلك الإشارات السماوية التى اكتشفتها كل يوم فى الآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية..»

الثَّبَاتُ وَالعَمَلُ الصَّالِحُ

وتوقفت قليلا كأنما أعترضها خاطر مفاجيء.. ثم قالت: لقد عرضت علىّ أختى بنت سفير السنغال أن أترك الشركة إلى سفارتهم، لأجد الجو الإسلامى الذى يريحنى من مضايقات المخالفين.. فترددت أولا، ثم رأيت أن أقبل هذا العرض وإن كان دخله دون مرتبى الأول، إلا إنه سيوفر لى من الراحة النفسية ما أنا فى مسيس الحاجة إليه.. وفى هذه المناسبة أقول لكما إننى قررت الاكتفاء بالضرورى من دخلى لأجعل ما يزيد عن حاجتى فى خدمة الدعوة، ولمساعدة الفقراء من لاجئى الألبان المسلمين... وسوف أفتح منزلى لاستقبال أطفال هؤلاء الذين تضطر أمهاتهم إلى تركهم للعمل أثناء النهار.. وعندى اقتراح آخر هو أن تتخذ من هذا المنزل مركزا خاصاً لاجتماعات نسائية أسبوعية، تضم المسلمات وغير المسلمات، من المثقفات الأوروبيات اللواتى نأنس فيهن رغبة فى الحق، وقدرة على فهمه..

وكان الساعة قد بلغت الخامسة مساء.. فتذكر الأخوان موعدهما مع بعض زملائهما الجامعيين من البلجيك والهولنديين، فأستأذنا بالخروج لاستقبالهم، بعد أن اتفقا مع هدى على جميع النقاط التى أثارتها.. ووضعوا لكل منها الترتيب المناسب.

❖❖❖

إنجلترا وأمريكا :

٤ . ركس انجرام (*)

(أشهر مخرج سينمائي في هوليود)

ولدت فى اسكتلندا لأب وأم إنجليزيين، ولم أر أبى الذى قتل فى حرب البوير عام ١٩٠٠م وما زلت طفلاً، ومرت الأيام ونحن نعيش عيشًا رغيداً حتى قامت الحرب العظمى الأولى عام ١٩١٤م فتطوعت فى الجيش وركبت البحر إلى فرنسا وانضممت إلى فرقة الفرسان وتقاذفتنى ميادين القتال كأنها ديار الجحيم، وقضيت فى الميدان الغربى فترة رأيت فيها من أهوال الحرب وفظائعها، ما لا طاقة لى بوصفه، وفى أواخر عام ١٩١٨، وبعد أن أمضيت أربع سنوات فى هذا الجحيم عدت فوجدت أمى قد ماتت، وأخوتى الثلاثة قد قتلوا فى الحرب، فهمت على وجهى، ورحت أطوف الدنيا فجست خلال الهند والصين واليابان ولم أجد ما أقطع به الوقت سوى دراسة اللغات والديانات، وفى سوريا تعلمت اللغة العربية ودرست مختلف الأديان فلم أجد مثل ما وجدت من العزاء والطمأنينة فى مطالعة القرآن الكريم طالعته مراراً وتمعنت فى معانيه وأشربت به روحى فرأيت فيه عذوبة وروعة ولم يكن يوم يمر بى دون أن أتلو آياته.

رؤيا عجيبة :

وفى الثلاثينات قدمت إلى الإسكندرية وهمت على وجهى حتى وصلت إلى دمنهور وعلى شاطئ ترعة هناك رقدت وفى أثناء نومى رأيت دخانًا يتصاعد من الأرض حتى يتكاثف فى السماء، وينعقد وقد أضاء نوراً عجيبًا ثم تكونت منه كلمة «الإسلام» وصحوت وكلمة الإسلام لا تزال ملء ناظرى وحواسى، وما كنت أفكر من قبل فى اعتناق الإسلام، وشعرت للمرة الأولى براحة وطمأنينة، وفى الطريق ما مررت بقروى إلا أقرأنى السلام ودعانى للطعام، وبذل جهده فى إكرامى واستضافتى فى منزله. أنا غربى وهم شرقيون أختلف عنهم طبعًا ودينا فما بالهم يسارعون إلى إكرامى؟ أنا الذى رأيت كيف يرتاب الناس من بعضهم. ولو أنك مررت على فلاح فى أوربا، وأقرأته السلام

(*) أخذت هذه القصة من صحيفة الدعوة السعودية بعد إدخال تعديلات طفيفة عليها.

فهل يكرمك مثل هذا الإكرام؟ وإذا وجدت رجلاً يأكل ووقفت إلى جانبه، فهل هو يشركك طعامه عن طيب خاطر؟ وهل إذا قرعت بابا يفتح لك على مصراعيه فتنزل ضيفًا كريمًا؟؟ تواردت هذه الخواطر على نفسي، وحاولت الإجابة عنها وعند ذلك علمت أن «الإسلام» هو الذى جعل تلك النفوس سامية كريمة.

ونمت مرة أخرى ورأيت عمود الدخان ينقلب حروفًا من ضوء تتجمع فتكون كلمة «الإسلام» وأفقت وقد أيقنت أن الله اختار لى الإسلام دينا وشعرت براحة عجيبة، فى أن أعتنق هذا الدين، دين الشفقة والحنو والإيثار.

ولكن لماذا اسلمت، لماذا اتخذت الإسلام دينا؟

ذلك لأنى أعتقد أن الإسلام هو الدين الذى يدخل السلام والسكينة إلى النفس، ويلهم الإنسان العزاء وراحة البال والسلوى فى هذه الحياة، وقد تسربت روح الإسلام إلى نفسى فشعرت بنعمة الإيمان بالقضاء الإلهى، وعدم المبالاة بالمؤثرات المادية من لذة وألم.

أسلمت بعد بحث طويل:

إنى لم أقدم على هذا التغيير لمجرد خاطر وقتى طرأ على فكرى، بل إنى قد درست الدين الإسلامى عدة سنين، ولم اتخذه دينا إلا بعد بحث قلبى عميق، وتحليل نفسى طويل، لم أغير دينى إلا لكى أجد الراحة من ضجيج الحياة الجنونى، ولأنعم بالسكينة فى ظلال الهدوء والتأمل بعيداً عن متاعب الهموم والمحن التى يسببها التكالب على الكسب والتهالك على المال، الذى أصبح اليوم معبود البشر وإلاههم، ولأخلّص نفسى من براثن الإغراء وخدع الحياة الباطلة، والشراب والمخدرات وجنون فرقة الجاز. أسلمت لكى أنقذ ذهنى وعقلى وحياتى من الهدم والتدمير.

أذكر أننى ذات مرة - وأنا أعمل مصوراً سينمائيًا - كان علىَّ أن التقط شريطًا سينمائيًا لرجل عربى طويل مهيب يقف فى رأس مئذنة ويؤذن للصلاة. وبينما كان يفعل ذلك... وأنا أقف جانبًا، أرقب ما يفعل، كان صوته فى ارتفاعه وانخفاضه ينفذ إلى أعماق قلبى..

ولما انتهينا من التصوير دعوت هذا العربى إلى مكتبى وأخذت أسأله عن دقائق الديانة الإسلامية، واعتنقت الإسلام بعد ذلك، وأخذت أصلى معه وشعرت بقناعة النفس

تغمرني رويداً رويداً، وبدأت أشعر بالسعادة وأكره كل الرغائب التي كانت تأسر نفسي.

الاستسلام لله:

وكان بعد ذلك أن جاء اليوم الذي اعتقدت فيه أني لا أستطيع أن أوفق بين عملي السينمائي وديانتي الإسلامية ولا بد أن يذهب أحدهما، فأيهما؟ وكان ثمة عراك نفسي شديد. هل أضحي بعملي ومستقبلي من أجل ديني؟ أم بديني من أجل مستقبلي؟ هكذا بقيت أسهر الليلة بعد الليلة راقداً في فراشي وعيناي مفتوحتان حتى الصباح، أفكر في حل هذه المشكلة، حتى جاءني الرد من الله.

يجب أن أترك عملي السينمائي وأبتعد عن أخاديع «هوليود» ومغرياتها، ولقد كان ذلك مؤلمًا لي عندما كنت أقوم بعمل شريط سينمائي في (نيس) فقد قمت ذات ليلة أصلي وبقيت أصلي مدة طويلة، فزادت قوتي، واشتدت عزيمتي، وفي اليوم التالي أدرت ظهري لعملي، وأعطيت جسمي ونفسي وحياتي للإسلام.

وأنا اليوم ابن الإسلام وإني سعيد أكثر مما كنت في أي يوم من أيام حياتي وفي مدينتي الغربية ومع ثيابي الغربية. سعيد كمؤمن يدين بالإسلام الخالد الذي هو أكمل دين سماوي ارتضاه الله للبشرية.

تعليق:

في سنة ١٩٢٨م فوجئت الأوساط الفنية في (هوليود) وغيرها، بنبأ عجيب جداً هو إسلام «ركس إنجرام»، وكان من أنجح المخرجين السينمائيين في ذلك الزمن، بل ربما كان أنجحهم على الإطلاق، وقد وصفت جريدة السياسة الأسبوعية الصادرة في القاهرة بتاريخ ١٣ فبراير ١٩٢٨ نبأ إسلام «ركس إنجرام» أكبر مخرج سينما توغرافي في العالم، وأكبر أقطاب صناعة السينما، الذي أقلع تمام الإقلاع عن كل ما حرم الله، واصطفى بعض المسلمين في فرنسا ليعلموه أحكام الدين، في القصر الذي اشتراه خصيصًا في مدينة (نيس) ليعيش فيه حيث نفذ إلى قلبه أول قبس من نور الإسلام في هذه المدينة الفرنسية. (انظر كتاب: الدعوة إلى الإسلام بين غير المسلمين، للمستشار محمد عزت الطهطاوي).

❖❖❖

أمريكا:

٥ . مريم جميلة (*)
(مارجريت ماركوس سابقاً)
من اليهودية إلى الإسلام

بدأ اهتمامي بالإسلام وأنا طفلة في العاشرة من عمري سنة ١٩٤٤م عندما كنت أتردد على إحدى مدارس الأحد اليهودية. فقد سحرتني العلاقة التاريخية بين اليهود والعرب. وتعلمت من كتب الدراسة اليهودية أن إبراهيم عليه السلام كان أبا للعرب واليهود على السواء. وقرأت كيف رحبت أسبانيا المسلمة بعد ذلك بقرون باليهود الذين كانوا عرضة للاضطهاد النصراني في أوربا العصور الوسطى، فاستحالت معه حياتهم إلى جحيم لا يطاق، وكيف أدى سمو أخلاق هذه الحضارة العربية الإسلامية ذاتها إلى تحفيز الثقافة العبرية لتبلغ ذروة منجزاتها، فدفعني تفكيري الساذج حينئذ وجهلي التام بحقيقة الحركة الصهيونية إلى الظن بأن اليهود قد أخذوا الآن يعودون إلى فلسطين لتدعيم أواصر القربى الوثيقة في الدين والثقافة بينهم وبين أبناء عمومتهم العرب الساميين. وحسبت أن كلا من اليهود والعرب سيتعاونون على إقامة عصر ذهبي جديد من الحضارة في الشرق الأوسط.

وبالرغم من إعجابي بدراسة التاريخ اليهودي فقد أحسست بالشقاء التام في مدرسة الأحد. وكنت في تلك الآونة مرهفة الإحساس بمشاعر الشعب اليهودي في أوربا حيث كان يتعرض لمصير مفزع على يد النازيين. وصدمني ما لاحظته من عدم اهتمام زملائي في المدرسة وعدم اكتراث آبائهم بالدين اليهودي وأخذهم له مأخذ الهزل. فقد اعتاد الأولاد أثناء الصلاة في المعبد أن يقرأوا قصاصات مضحكة كانوا يخفونها في كتب الصلاة ويضحكون إلى درجة الاستهزاء بالطقوس الدينية. وبلغوا درجة من الفوضى وعدم النظام بحيث عجز أساتذتهم عن تنظيمهم وكانوا يعانون كثيراً في ضبط الفصول. ولم يكن جو الاهتمام بالدين في البيت بأفضل من هذا بكثير. فقد كانت شقيقتي الكبرى تمقت مدرسة الأحد إلى درجة تضطر والدتي إلى جرها بالغصب من فراشها كل

(*) هذه ترجمة عربية لقصة إسلام السيدة مريم جميلة تفضلت بإرسالها للمترجم.

صباح ولم تذهب في يوم من الأيام إلى المدرسة إلا وهي تغالب الدموع معربة عن سخطها الشديد. وأخيراً نفد صبر والديّ فسمحوا لأختي بترك المدرسة. وفي أعظم الأعياد اليهودية المقدسة كنا نؤخذ أنا وشقيقتي من المدرسة ونذهب في رحلات عائلية وحفلات مرحة نقضيها في المطاعم الأنيقة بدلاً من حضور الصلاة في المعبد وصيام اليوم الكبير (Yom Kippur). وسرعان ما استطعت وشقيقتي إقناع والدينا بإحساسنا بالشقاء في مدرسة الأحد فالتحق الاثنان بمنظمة إنسانية لا أدرية[1] (ملحدة) كانت تعرف بحركة الثقافة الأخلاقية.

دين الإلحاد:

تأسست حركة الثقافة الأخلاقية في أواخر القرن التاسع عشر على يد فليكس أدلار (Felix Adler) الذي اقتنع بدين جديد ظن أنه الدين الوحيد الذي يناسب العلم الحديث وذلك أثناء استعداده لنيل شهادة «حبر». ويتلخص هذا الدين المزعوم في الإيمان بنسبية القيم الأخلاقية وكونها من صنع البشر، وعبث الاعتقاد بأية فلسفة أو دين يؤمن بما وراء الطبيعة. وكنت أذهب كل أسبوع إلى مدرسة الأحد التابعة لحركة الثقافة الأخلاقية منذ أن كان عمري أحد عشر عامًا إلى أن تخرجت منها وأنا في الخامسة عشر من العمر. وفي هذه المدرسة آمنت إيمانًا كاملاً بآراء الحركة ونظرت إلى كافة الأديان التقليدية نظرة ازدراء واحتقار.

لقد بقيت تحت تأثير الفلسفة الإنسانية طوال فترة المراهقة حتى إذا اكتملت مداركي الفكرية لم أعد أرضى بالإلحاد. فشرعت من جديد أبحث عن ذاتي. فالتحقت بطائفة بهائية[2] بنيويورك فترة من الزمان كانت تسمى قافلة الشرق والغرب بقيادة رجل فارسي يدعى ميرزا أحمد صهراب - توفي عام ١٩٥٨ وقد أخبرني أنه كان يعمل سكرتيراً لعبد البهاء أحد مؤسسي الحركة البهائية. وأعجبتني البهائية بصفة مبدئية تبعًا لأصلها الإسلامي ودعوتها بوحدة بني الإنسان إلا أنني هجرتها بعد ذلك بعام واحد وأنا أحس بخيبة أمل مريرة عندما اكتشفت مدى فشلها في تطبيق هذا المبدأ.

---

(١) اللاادرية تقول بأنها لا تفهم الوحي وتنكر الرسالات السماوية. المترجم.

(٢) البهائية: نسبة إلى بهاء الله، الذي زعم أنه هو الله، وهي طائفة منحرفة نبتت في إيران، وهي تعفي معتنقيها من كثير من التكاليف الشرعية في الإسلام كالصلاة والصوم وغيرها، لذلك لم تعد جزءاً من جسم الأمة الإسلامية. انظر رسالة البهائية للأستاذ محب الدين الخطيب - رحمه الله.

تحريفات اليهود:

وفى الثامنة عشر من عمرى أصبحت عضواً فى فرع محلى لحركة شباب صهيونية دينية تعرف باسم ميزراشى هاتزائير (Mizrachi Hatzair) ثم انفصلت عنها بعد ذلك بخمسة أشهر وكلى استياء من حقيقة الدعوة الصهيونية التى اكتشفت أنها تجعل العداء بين اليهود والعرب أمراً مستحكمًا لا يمكن تلافيه. وعندما أصبحت فى العشرين من عمرى وكنت حينئذ طالبة فى جامعة نيويورك كانت إحدى الدورات المرشحة لى تحت عنوان «اليهودية فى الإسلام» للبروفيسور الحبر إبراهام إسحق كاتش رئيس قسم الدراسات العبرية فى الجامعة. وكان لا يألو جهداً فى إقناع تلامذته - وكلهم من اليهود الذين يطمح كثير منهم أن يصبح حبرا - بأن الإسلام مشتق من اليهودية. وكان كتابنا المقرر وهو من تأليفه[١] يأخذ كل آية من القرآن ويسعى جاهداً فى تتبع أصلها اليهودى المزعوم. وبالرغم من أن هدفه الحقيقى هو أن يثبت لطلابه استعلاء اليهودية على الإسلام فقد أقنعنى بعكس ذلك تمامًا. فقد نفرت من تأويله للدار الآخرة التى يصورها القرآن الكريم بعبارات حية للغاية وتحريفه لها بأنها تعنى حق اليهود الباطل فى العودة إلى فلسطين. وكان تصورى لإله اليهود كما ذكر فى العهد القديم وفى كتاب الصلاة عند اليهود مشوهًا وغير لائق فقد بدا لى الله فى صورة وكيل مقاطعة دنيوية. وكنت اعتقد أن الخلط بين القومية الضيقة والدين قد أدى إلى افقار اليهودية روحيًا إلى الأبد. وأحسست أن الانعزال الشديد للديانة اليهودية له صلة كبيرة بحملات الاضطهاد التى تعرض لها اليهود خلال مراحل تاريخهم. وقلت بأنه ربما كان من الممكن تفادى هذه المآسى لو أن اليهود كانوا ينافسون بقوة العقائد الأخرى فى كسب المهتدين الجدد. وسرعان ما تكشفت لى أن الصهيونية لم تكن سوى مزيج من الناحيتين العنصرية والقبلية للديانة اليهودية مضافًا إليها القومية العلمانية الحديثة. وازداد تصورى للصهيونية سوءاً عندما علمت أن قليلاً من زعمائها - على فرض وجود هذا القليل - كانوا يتمسكون بالديانة اليهودية. وأنه ربما لا يوجد أى بلد فى العالم ينظر إلى الديانة اليهودية التقليدية باحتقار وازدراء مثلما تفعل إسرائيل. وعندما علمت أن معظم القادة اليهود البارزين فى أمريكا يساندون الصهيونية بلا تحفظ ولا تؤنبهم ضمائرهم بسبب

(١) «اليهودية فى الإسلام» للمؤلف نفسه.

الظلم الصارخ الذى يتجرعه الفلسطينيون العرب عندها لم أعد اعتبر نفسى يهودية حقًا.

اهتديت إلى الإسلام:

وفى صبيحة يوم من أيام نوفمبر عام ١٩٥٤ جادل البروفسور كاتشى فى محاضرته بمنطق لا يقبل الدحض أن التوحيد الذى نادى به موسى عليه السلام والقوانين الإلهية التى نزلت عليه فى سيناء لابد أن تكون أساسًا ضروريًا لكافة القيم الخلقية العليا. فإذا كانت الأخلاق من صنع البشر وحدهم كما كانت تزعم حركة الثقافة الأخلاقية وغيرها من الفلسفات اللادرية والملحدة، فيمكن أن تتغير بمجرد الهوى ووفقًا لما يقتضيه الظرف والمصلحة. فتكون النتيجة الفوضى الكاملة التى تؤدى إلى فساد الفرد والجماعة. ثم أضاف البروفسور كاتش قائلاً أن الإيمان باليوم الآخر كما نص عليه الأحبار فى التلمود لم يكن مجرد تفكير إدارى ولكنه ضرورة أخلاقية. وقال بأنه لا يملك الاستعداد النفسى للتضحية بالمتاع الزائل وتحمل الصعوبات والمشاق لبلوغ الخير السرمدى - لا يملك ذلك الاستعداد إلا من كان يؤمن إيمانًا عميقًا بأن كلا منا سيقف أمام الله يوم القيامة ليحاسبه عما عمل فى حياته الدنيا فيكافئه أو يعاقبه بحسب عمله.

بينما كان البروفسور كاتش يمضى فى محاضرته بهذا المنطق كنت أقارن بين ما قرأت فى العهد القديم والتلمود وبين ما يذكره القرآن والحديث. وعندها ظهر لى قصور اليهودية وعيبها فاهتديت إلى الإسلام. ومع إننى أردت أن أصبح مسلمة منذ عام ١٩٥٤ إلا أن أسرتى تمكنت من إقناعى باجتناب ذلك وحذرتنى بأن الإسلام سيؤدى إلى تعقيد حياتى لأنه ليس جزءًا من الحياة الأمريكية كاليهودية والنصرانية. ونبئت أن الإسلام سيجعلنى غريبة عن أسرتى ويعزلنى عن المجتمع. ولم يكن إيمانى فى ذلك الحين من القوة بحيث يصمد أمام هذه الضغوط. ونتيجة لهذا وعلى أثر الصراع الداخلى الذى كان يعتمل فى صدرى، أصبحت مريضة إلى درجة جعلتنى أقطع دراستى فى الكلية قبل التخرج بأمد طويل فلم أحصل قط على أى دبلوم. وبقيت طوال العامين التاليين طريحة الفراش فى البيت تحت العناية الطبية الخاصة وحالتى تنتقل من سيىء إلى أسوأ.

وعندما يئس والداى من شفائى حجزونى فى الفترة الواقعة بين عام ١٩٥٧ - ١٩٥٩

فى المستشفيات الخاصة والعامة حيث آليت على نفسى أن أعتنق الإسلام إذا قدر لى الشفاء والخروج من المستشفى.

وبعد أن سمح لى بالعودة إلى البيت استنفذت كافة الفرص التى تمكننى من الالتقاء بالمسلمين فى مدينة نيويورك. وكان من حسن طالعى أن تعرفت على مجموعة من خيرة الرجال والنساء الذين يطمح أى امرىء أن يلتقى بهم. كما شرعت فى كتابة مقالات فى المجلات الإسلامية وأجريت مراسلات واسعة النطاق مع القادة المسلمين فى كافة أنحاء العالم. فراسلت المرحوم الشيخ بشير الإبراهيمى رئيس العلماء فى الجزائر والدكتور محمد البهى الأستاذ بالأزهر والدكتور محمود حب الله الذى كان مديراً للمركز الإسلامى فى واشنطن فى ذلك الحين والدكتور محمد حميد الله فى باريس والدكتور سعيد رمضان مدير المركز الإسلامى فى جنيف ومولانا السيد أبا الأعلى المودودى.

دِفَاعٌ عَنْ أَصْلِ العَقِيدَةِ :

لقد وجدت حتى قبل اعتناقى الرسمى للإسلام أن كيان العقيدة فى العالم المعاصر يتعرض لتهديد خطير من قبل ما يسمى بحركة التجديد التى تهدف إلى إفساد تعاليم الدين بفلسفات «وإصلاحات» من صنع البشر. وكنت مقتنعة بأنه إذا نجح دعاة التجديد هؤلاء فلن يبقى أى أثر لأصل العقيدة وجوهرها. فقد شاهدت بأم عينى وأنا طفلة كيف أفسد المتحررون فى أسرتى ما كان فى وقت ما دينًا سماويًا منزلاً. وحيث أننى كنت يهودية المولد والمنشأ فقد شاهدت مدى بطلان محاولة التوفيق بين الدين وأية بيئة ملحدة. فقد فشلت اليهودية الجديدة فى الحيلولة دون الذوبان الثقافى لليهود الذين كنت أعرفهم وليس ذلك فحسب بل أدى التجديد إلى دفع عملية الاستيعاب هذه.. ونتيجة لذلك لم يبق لليهود إلا أسماؤهم اليهودية ولم يكن أحد منهم متدينًا بصورة تستحق الذكر وظلت الخيانة الفكرية والنفاق والسطحية التى تميزت بها اليهودية الجديدة تجربة حيَّة طوال عهد طفولتى.. وعلمت حتى فى ذلك السن المبكر أن مثل هذا التوفيق الفاتر لا يمكن أن يطمح أبداً فى الحفاظ على ولاء اتباعه ناهيك عن ولاء أبنائهم. وكم كان فزعى شديداً حينما وجدت هذا الخطر نفسه بين المسلمين. لقد كانت صدمتى عظيمة حين وجدت فى صلب الأمة المسلمة علماء وقادة سياسيين يرتكبون نفس الآثام التى من أجلها لعن الله اليهود فى القرآن الكريم! فأقسمت أن أكرس كافة جهودى الأدبية

لمحـاربة هذا الخطر من الداخل قبـل فـوات الأوان وقـد أيقنت أن الله لن ينجـينا من الكوارث وسيكتب علينا مصيراً مماثلاً للمصير الذى ذاق اليهود وباله ما لم نخلص فى التوبة إلى الله ونغير ما بأنفسنا.

لذلك كتب مولانا المودودى فى أول رسالة بعثها لى فى يناير ١٩٦١ قائلاً: لقد شعرت وأنا أتصفح مقالاتك كأنى أقرأ أفكارى، وآمل أن يكون إحساسك كذلك عندما تتاح لك فرصة تعلم اللغة الأوردية ودراسة مؤلفاتى. فبالرغم من عدم وجود تعارف سابق بيننا فلا شك أن هذه المشاركة والتجانس الفكرى المتبادل بيننا قد نجم بصورة مباشرة عن الحقيقة بأن كلا منا قد استقى الهامه من مصدر واحد بعينه ألا وهو الإسلام!

كيف اكتشفت القرآن الكريم ومدى أثره فى حياتى :

اكتشفت القرآن الكريم بطريقة متعرجة أوردتنى إلى شعاب غريبة، إلا أننى لم أحس قط بالأسى أو الندم على تجاربى ما دامت نهاية المطاف جديرة بذلك كله إلى درجة كبيرة.

كنت أتمتع فى طفولتى بأذن موسيقية مرهفة، وكان لى شغف خاص بالأوبرات والسيمفونيات الكلاسيكية التى تعتبر من مظاهر الثقافة العالية فى الغرب، وكانت الموسيقى هى الموضوع المفضل بالنسبة لى فى المدرسة، فأبدعت فيها أيما إبداع، وحدث من قبيل الصدفة المحضة أن استمعت إلى الموسيقى العربية من جهاز الراديو فأبهجنى سماعها لدرجة أننى قررت الاستماع إلى المزيد، وبمجرد سماعى للموسيقى العربية لم أعد أكترث لسماع الموسيقى الغربية، وأخذت ألح على والدىّ حتى أخذنى والدى فى النهاية إلى الجناح السورى من مدينة نيويورك حيث اشتريت مجموعة من أسطوانات ترتيل سورة مريم من القرآن الكريم بصوت أم كلثوم، كان ذلك فى عام ١٩٤٧. وكنت فى ذلك الحين معجبة بصوتها الجميل فى تلاوة تلك الفقرات من القرآن الكريم بشعور فياض، وهكذا كان إصغائى لهذه التسجيلات سبباً فى حبى لسماع الصوت العربى رغم أننى لم أكن أفهمه، فلولا هذا التذوق للموسيقى العربية التى تبدو نشازاً بالنسبة للرجل الغربى لما كان من الممكن أن أحب التلاوة، فكان والداى وأقربائى وجيراننا يعتبرون

العربيـة وموسيـقاها غريبة للغاية وكانت بغيضة إلى آذانهم لدرجة أنهم كانوا يطالبوننى بإغلاق كـافـة الأبواب والنوافـذ فى غـرفـتى كلما أردت أن اسـتمع للأسطوانات العـربيـة خشيـة أن أزعجهم.

القرآن بدل الموسيقى[1]:

وبعد أن أعتنقت الإسلام فى عـام ١٩٦١ كنت أجلس مـأسورة فى مـسـجد نيـويورك استمع إلى تلاوة القارئ المصرى الشهير عبد الباسط الساعة تلو الأخرى.

وفى يوم من الأيام لـم يشغل الإمـام تلك التسـجيلات قبل صـلاة الجمعـة كـالمعتـاد. وكان بين المصلين ضيف خاص. فنظرت فإذا بشاب أسود قصير نحيل البدن رث الثياب عرفنا بنفسـه كطالب من زنجبار. ولكنه ما أن استهل تلاوة القرآن حتى أيقنت أننى لم استمع قط لمثل تلك التلاوة الرائعة!! ولا حتى من عبد الباسط، فقد وهب هذا الشاب الأفريقى الغـامض صوتًا ذهبيًا جعلنى أقول فى نفسى: لابد أن بلالاً رضى الله عنه كان يملك مثل هذا الصوت الندى!

ذكرت فى قصـة إسـلامى إننى عندمـا بلغت العـاشرة من عمرى بدأت أحس بميل نحو قراءة جميع المؤلفات التى تقع عليها يداى عن العرب سواء فى مدرستى أو فى المكتبات العامـة فى المنطقة التى كنت أعيش فيـهـا. وكنت أميـل بشكل خاص إلى الكتب التى تتناول العلاقات التاريخية بين اليهود والعرب. ثم مضت تسع سنوات أخرى حتى ورد بخاطرى إشباع حبى لمعرفـة القرآن الكريم. ومع ذلك بدأت أشعر بصورة تدريجيـة أن الإسلام هو الذى رفع العرب من مجرد قبائل صحراوية همجية وجعلهم سادة الدنيا. كان ذلك عندمـا كنت فى نهاية مرحلة المراهقة. ولم أفكر قط فى قراءة القرآن الكريم بنفسى حتى تشوقت لمعرفة كيفية حدوث هذا الانقلاب العجيب وأسبابه.

أكاذيب أعداء الإسلام:

وفى صـيف عـام ١٩٥٣ ارهقت نفسى فى الكليـة فـتجـشمت دورة سريعـة ذات موضوعـات كثيرة. وفى شهر أغسطس من ذلك العام سقطت ضحيـة المرض واضطررت إلى وقف كل جهد يهدف إلى إكمـال الفصل الدراسى. وفى إحدى الأمسيـات، بينما

كانت أمي تستعد للذهاب إلى المكتبة العامة سألتنى عن حاجتى إلى مطالعة أى كتاب؟ فطلبت منها نسخة من القرآن الكريم. فعادت بعد ساعة ومعها نسخة من ترجمة معانى القرآن لمبشر وعالم نصرانى عاش فى القرن الثامن عشر وهو جورج سيل. فلم أفهم منها إلا القدر اليسير تبعًا للغتها الركيكة وامتلائها بالتعليقات الكثيرة من البيضاوى والزمخشرى المنتزعة من سياقها وذلك بقصد دحض النص القرآنى من وجهة النظر النصرانية. وفى ذلك الحين كان عقلى الناقص النمو يعتبر القرآن مجرد روايات مشوهة محرفة للقصص المعروفة فى الإنجيل.

ولم يكن بوسعى أن أبتعد عن التأثر بالقرآن بالرغم من أن انطباعاتى الأولى عنه كانت سلبية. فقد أخذت اقرأه بصورة مستمرة طيلة ثلاثة أيام بلياليها. وعندما فرغت من قراءته كانت جميع قواى قد استنزفت. ورغم إننى كنت فى التاسعة عشر من عمرى شعرت بضعف شديد كما لو كنت امرأة فى الثمانين!. ولم استرد كامل قواى أو نشاطى بعد ذلك!

ترجمة أمينة لمعانى القرآن:

وهكذا ظللت أحمل فكرة هزيلة عن القرآن الكريم حتى كان يوم من الأيام عندما عثرت فى إحدى المكتبات على نسخة رخيصة من ترجمة القرآن لمحمد مرمادوك بكثال[1]. فما أن فتحت ذلك الكتاب حتى شعرت أنه وحى من السماء! فقد جرفتنى أسلوبه الفصيح. يقول السيد بكثال فى الفقرة الأولى من مقدمته ما يلى:

«إن الغاية من هذا العمل هى أن يقدم للقراء الإنجليز ما يؤمن المسلمون فى العالم كله بأنه معنى كلمات القرآن وأن يعرفهم بطبيعة ذلك الكتاب بأسلوب لائق مركز آخذاً بعين الاعتبار ما يحتاج إليه المسلمون الناطقون بالإنجليزية، ويمكن القول بأنه لا يمكن القيام بترجمة أى كتاب سماوى ترجمة منصفة على يد شخص لا يؤمن به وحيا بل يكفر برسالته، وهذه هى أول ترجمة انجليزية يقدمها رجل انجليزى مسلم فبعض الترجمات تتضمن تعليقات معادية للمسلمين وجميعها تقريبا تستخدم أسلوبا يشعر المسلمون بتفاهته على الفور.

(١) ستأتى قصة إسلامه فى هذا الكتاب برقم ١٠٠

لا يمكن ترجمة القرآن، هذا هو اعتقاد المشايخ القدماء كما أنه عقيدة الكاتب الحالى، وهذه محاولة لترجمة معانى القرآن الحرفية وقد بذلت كل ما فى وسعى لانتقاء الألفاظ المناسبة ولكن ثمرة العمل ليست القرآن العظيم تلك المعجزة الفريدة الخالدة التى يجهش الناس بدموع الفرح والسعادة لمجرد سماعها، وما هذه الترجمة إلا محاولة لتقديم معانى القرآن مع شىء من سحره وروعته إلى قراء الإنجليزية، ولا يمكن لها بحال من الأحوال أن تحل محل القرآن باللغة العربية ولا هى مقصودة لتحقيق ذلك...»

حينئذ عرفت السر الذى يجعل ترجمة جورج سيل جائرة، ومن ثمة انصرفت عن قراءة ترجمته ولم اقرأ أية ترجمة أخرى للقرآن الكريم بقلم غير المسلمين، واكتشفت بعد مطالعة ترجمة بكثال، ترجمات إنجليزية أخرى ليوسف على ومحمد على اللاهورى ومولانا عبد الماجد دريابادى. وسرعان ما شعرت بالضيق من تعليقات عبدالله يوسف على ومحمد على اللاهورى تبعا لأسلوبهما الاعتذارى ومحاولاتهما الغريبة لتأويل ما يتعارض من القرآن مع الفلسفات الحديثة والتصورات العلمية المتقلبة. كما أن ترجمتهما للنص كانت ضعيفة فى نظرى، وبالرغم من محاولة السيد عبدالماجد دريابادى صوغ ترجمته للقرآن بأسلوب مبتذل على منوال نسخة الملك جيمس للكتاب المقدس، مما أزعجنى إلى درجة كبيرة، إلا أننى وجدت تعليقه رائعاً وخاصة فى تلك الفقرات التى عالج فيها الأديان المقارنة، فتعلمت منها الشىء الكثير، وعلى الرغم من ذلك ظلت ترجمة بكثال أحب الترجمات إلى نفسى ولم أجد حتى الآن أية ترجمة انجليزية تضارعها فى فصاحتها وقوة أسلوبها ورزانتها، فمعظم الترجمات الأخرى تخطىء فتستخدم كلمة (God) للدلالة على الذات الإلهية، أما بكثال فيستخدم كلمة «الله» من أول ترجمته إلى آخرها، وهذا يجعل دعوة الإسلام تمارس تأثيراً قويا على القارئ الغربى، وكنت احتفظ فى أحلك أيام حياتى التى استمرت عدة سنوات فى المستشفى بنسخة عادية من ترجمة بكثال لا أفارقها أبداً بل أقرأها المرة تلو الأخرى حتى أننى استهلكت نصف دستة من النسخ، جزى الله عنى بكثال خير الجزاء وأجزل له العطاء لتيسيره تعلم القرآن وجعله فى متناول الناس فى انجلترا وأمريكا فيعلم الله أنه لولاه لما تمكنت من فهم القرآن وتعلمه.

السُّنَّة النَّبويَّة بعد القُرآن:

ثم خرجت من المستشفى فى عام ١٩٥٩ فأخذت أقضى معظم أوقات فراغى فى قراءة الكتب عن الإسلام وذلك فى الجناح الشرقى لمكتبة نيويورك العامة وهناك عثرت على ترجمة انجليزية لمشكاة المصابيح مؤلفة من أربعة مجلدات ضخمة قام بترجمتها الحاج فضل الرحمن - من كلكتا، عندئذ أيقنت أنه لن يتسنى لى فهم القرآن فهماً مناسباً وتفصيلياً ما لم أتعلم شيئا من الحديث النبوى الشريف فكيف يمكن فهم كلام الله فهماً صحيحاً ما لم يكن ذلك فى إطار تصور النبى الكريم الذى أنزل عليه القرآن وعلى ضوء سيرته؟ وكل من يكفر بالحديث يكفر بالقرآن لأن هذا الوحى السماوى ينص بوضوح على أنه لا يتحقق التسليم الكامل لله ما لم نسلم ونذعن إذعانا كاملا لما جاء به النبى الكريم عليه الصلاة والسلام.

وعندما قرأت المشكاة بدأت أؤمن بأن القرآن وحى من السماء، والسبب فى اقتناعى بأن القرآن لا بد أن يكون من عند الله لا من عند محمد ﷺ تلك الإجابات المرضية المقنعة التى يوردها الله رداً على كافة الأسئلة المهمة فى الحياة والتى لم أعثر لها على إجابة فى أى كتاب آخر.

الدَّارُ الآخِرَةُ:

كنت فى طفولتى شديدة الخوف من الموت وخاصة عندما كنت أفكر فى موتى أنا حتى أننى كنت أحياناً أستصرخ والدى فى منتصف الليل على أثر رؤيتى لكابوس مخيف عن الموت، وعندما كنت أسألهم لماذا يجب أن أموت وماذا يمكن أن يحدث بعد الموت؟ كان كل ما يقولانه لى هو أن من واجبى أن أسلم بالأمر المحتم وأن الموت بعيد وحيث إن العلوم الطبية فى تقدم دائب فربما أعيش مئة عام! وكان والدى وبقية أفراد أسرتى وجميع أصدقائنا يهزأون من أى تفكير فى الآخرة ويقولون بأنها خرافة محضة، وأن الإيمان بيوم القيامة والجزاء فى الجنة والعقاب فى النار ضرب من الأفكار البالية من مخلفات العصور القديمة، وعبثًا حاولت التنقيب فى الفصول الكثيرة للعهد القديم للعثور على تصور واضح لا لبس فيه بالنسبة للدار الآخرة فجميع الأنبياء والبطارقة والحكماء فى الكتاب المقدس يلاقون جزاءهم أو عقوبتهم فى الحياة الدنيا فحسب، مثال

ذلك قصة أيوب عليه السلام فقد قضى على فلذات كبده وأحبابه بالموت كما جرد من أملاكه وأصيب بمرض خبيث لاختبار قوة إيمانه، فأخذ أيوب يشكو بثه وهمه إلى الله ويناجي ربه قائلا: لماذا تجعلنى أقاسى وأنا رجل تقى صالح!؟ وفى نهاية القصة يعوض الله عليه كافة خسائره الأرضية وليس هناك أى ذكر لأية نتائج فى الدار الآخرة.

أكاذيب اليهود:

صحيح أننى وجدت مفهوم الدار الآخرة محدداً فى العهد الجديد إلا إنها كانت فى نظرى غامضة لا تشبع تطلعى إذا قورنت بما جاء عنها فى القرآن الكريم، ولم أجد أية إجابة على مسألة الموت فى اليهودية التقليدية، فالتلمود يقول: بأنه الحياة الدنيا فى أسوأ صورها أفضل من الموت فى أشرف مقاماته، وكانت فلسفة والدى تتلخص فى أن على الواحد منا أن يتجنب التفكير فى الموت وأن يتمتع بمباهج الحياة بأقصى ما يستطيع فالغاية من الوجود الإنسانى فى رأيهم هى المتعة والبهجة التى تتحقق عن طريق الافصاح عن المواهب الشخصية لكل إنسان، كما تتمثل فى حب الرجل لأسرته وعلاقته الوثيقة بأصدقائه بالإضافة إلى الحياة الهنيئة والانغماس فى شتى الشهوات التى تيسرها الحياة فى أمريكا بصورة كبيرة، وهم يدعون إلى هذا المنهج السطحى فى الحياة لضمان سعادتهم وثروتهم واستمرارها، ولقد علمتنى التجارب المريرة أن الانغماس فى شهوات الجسد وملذاته لا يؤدى إلا إلى مزيد من من الشقاء ولا يتحقق أي عمل كبير يستحق الذكر إلا بالعناء والتضحية بالنفس.

كنت أتطلع دائما منذ طفولتى المبكرة جداً إلى تحقيق أمور مهمة تستحق الذكر، وكنت أريد قبل كل شيء أن أضمن قبل دنو أجلى أننى لم أنفق حياتى سدى ، ولم أقترف أعمالا آثمة ولم أسلك سبلا عابثة، كما أننى كنت طوال حياتى أميل إلى الجد، وأبغض اللهو والعبث وهما الصفتان الغالبتان فى الحضارة المعاصرة.

وذات مرة سبب لى والدي انزعاجا كبيراً باعتقاده بعدم وجود قيم دائمة، وقوله بأنه ما دام كل شيء فى العصر الحديث يتغير باستمرار فالأفضل الإذعان للتيارات الحاضرة واعتبارها أمورها محتمة وتكييف النفس على منوالها، أما أنا فكنت متلهفة للوصول إلى أمر يبقى أبد الدهر.

القرآن نور:

والقرآن الكريم هو الذى علمنى أن هذا الأمل ممكن الوصول إليه فلا يضيع عمل صالح يقصد به رضوان الله تعالى، وحتى إذا لم يجن الإنسان ثمرة عمله الصالح فى الدنيا فجزاؤه موفور فى الدار الآخرة، ومن ناحية أخرى يرشدنا القرآن الكريم إلى أن الذين لا يلتزمون بأى اعتبار خلقى ويجرون وراء المتاع العاجل واللياقة الاجتماعية ويريدون أن يكونوا أحرارا فى اقتراف ما يشاؤون بصرف النظر عن الكسب الدنيوى أو الرفاهية التى يحققونها، هؤلاء هم الخاسرون يوم القيامة مهما تمتعوا فى هذه الحياة الدنيا الفانية.

والإسلام يوصينا بترك كافة الأعمال العابثة التافهة التى تصرفنا عن غايتنا فى تكريس جل اهتمامنا للنهوض بحقوق الله وحقوق عباده علينا، وقد لقيت تعاليم القرآن هذه وما يفسرها من أحاديث نبوية شريفة انسجاما كاملا مع مزاجى، وعندما اعتنقت الإسلام كان والداى وأقربائى وأصدقائى يعتبرون أننى متعصبة لأننى لم أكن أفكر ولا أتحدث عن شىء آخر غير ذلك، فالدين فى نظرهم مسألة شخصية يمكن أن ينمى كهواية من الهوايات، ولكن بمجرد قراءتى للقرآن الكريم علمت أن الإسلام ليس مجرد هواية من الهوايات أبداً ولا هو مجرد أمر ثانوى فى الحياة بل هو الحياة ذاتها!

الفرار من الظلمات إلى النور:

منذ عهد مراهقتى المبكرة إلى أن هاجرت إلى الباكستان فى الثامنة والعشرين من عمرى لم أكن فتاة اجتماعية ناجحة، فكنت شابة جادة منهمكة بين أكوام الكتب فى المكتبة، أكره السينما وأبغض الرقص والموسيقى الصاخبة ولم أكن استمتع بالمواعيد الغرامية والحفلات المختلطة، ولم أكن أكترث بالقصص العاطفية والبهرجة وأدوات التجميل الصناعية والمجوهرات والأزياء الأنيقة، لذلك كله كنت غريبة.

وهكذا هاجرت إلى باكستان بعد أن فررت من مستقبل مظلم فى أمريكا التى لا مكان فيها لفتاة مثلى، ومع أن باكستان قد تلطخت بشىء من قذارة أوربا وأمريكا إلا أنه لا يزال فيها عدد كاف من الباكستانيين المسلمين الذين يكونون بيئة إسلامية صالحة

تمكن الإنسان من العيش وفقًا لتعاليم الإسلام. ولابد لى أن أعترف أننى لا أستطيع فى بعض الأحيان أن أطبق بعض ما يأمر به الإسلام، ومع ذلك فلا أنغمس فى تأويل القرآن والسنة تأويلات ما أنزل الله بها من سلطان تبريراً لعجزى وتقصيرى، بل أسارع إلى الاستغفار وإصلاح أخطائى كلما أذنبت. والسر فى سعادتى التى أحس بها فى حياتى الجديدة هو أن الإسلام يقدر الصفات والأمزجة الفطرية التى يسخر منها المجتمع الغربى ويستهزئ بها!!(١).

❊❊❊

(١) بقى أن نذكر أن السيدة مريم جميلة تزوجت رجلاً باكستانيًا متدينًا، كما أنها تقضى معظم وقت فراغها فى التأليف الإسلامى، فلها عدد من الكتب أهمها: «الإسلام بين العقيدة والتطبيق»، «والإسلام ومذهب التجديد»، وقصة لاجئ فلسطينى بعنوان «أحمد خليل» وغير ذلك من المؤلفات التى كتبتها باللغة الإنجليزية. كما أنها تحرر مقالات كثيرة فى الصحف والمجلات الإسلامية الناطقة بالإنجليزية.

أوروبا:

٦. يَعْقُوب رِيمُوند

لِمَاذَا أَسْلَمْتُ...؟

لقد وجدت ثلاثة فروق جذرية بين النصرانية والإسلام ساهمت فى اقناعى بصدق الإسلام.

الفارق الأول هو: أن النصرانية فى الوقت الذى تقر وتعترف فيه بكافة الأنبياء قبلها تجرد عيسى من النبوة وترفعه إلى مرتبة الألوهية، كما تنكر نبوة محمد عليه الصلاة والسلام بالكلية. فلم أجد لذلك أى مبرر. إذ أن حضرة النبى محمد ﷺ يؤمن بجميع الأنبياء السابقين، ويؤكد أن الرسالة السماوية التى أنزلت إليه هى الرسالة السماوية الوحيدة التى لا تزال محفوظة لم تمس بسوء.

أما الفارق الثانى فهو أن النصرانية تنادى بالنظرية القائلة بأن عيسى ابن الله وأنه طرف فى التثليث المقدس. وبذلك يكون عيسى فى نظرها إلها وابن الله فى وقت واحد مما يتعذر فهمه. كما أن هذه النظرية تناقض التعاليم التى نادى بها موسى وإبراهيم. فقد علما الناس بأن يعبدوا إلهاً واحداً لا شريك له. كذلك نجم عن التصور بأن عيسى ابن الله نتيجة أخرى هى إقامة الفوارق بين الأنبياء وتقسيمهم إلى بشر وآلهة!

وأما الفارق الثالث فهو أن النصرانية تجعل الكنيسة وسيطاً بين الناس وربهم، فهى تقول لك: اقترف ما شئت من الآثام والكنيسة تعفو عنك وتضمن لك الخلاص والنجاة. ومن هنا فالخالق فى تصور النصرانية ليس مختاراً يفعل ما يشاء بل لابد للكنيسة أن تقوده - سبحانه - يوم القيامة.

قد وجدت لحسن الحظ تصويباً لهذه الفكرة المضحكة وتصحيحاً لها فى الإسلام. فالدين الإسلامى يبين أن الله وحده لا شريك له هو الذى سيقضى يوم القيامة فى الأعمال التى اكتسبها كل ذكر وأنثى فى حياتهم الدنيا دون أى تدخل أو نفوذ من أية جهة من الجهات. وهذه صفة طبيعية لازمة للخالق تظهر بجلاء لكل ذى فكر صحيح.

ثم سألت نفسي: أين الاستقرار والثبات بالنسبة للدين الذى تظل فيه تعاليمه عرضة للتعديلات المستمرة حسب ما تقتضية العادات المتغيرة المتقلبة؟ وآخر مثال على هذه التعديلات هو مجلس الفاتيكان الثانى. إذ يتضح من هذا أن الديانة النصرانية تقدم عادات البشر وتقاليدهم وتضعها فى منزلة أسمى من إرادة الله. أما فى الإسلام فكلمة الله وإرادة الله هى الأسمى.

ومما زاد فى إقصائى عن النصرانية إلى جانب ما قدم، ما لاحظته بأن أساليب الحياة المادية البحتة التى انتشرت فى أوروبا وأميركا الشمالية فى الأوقات الحاضرة قد أدت إلى تحطيم أبسط القيم الإنسانية تحطيماً كاملاً. فينحصر اهتمام الناس فى الأقطار الأوروبية والأميركية فى تحقيق هدف واحد فى الحياة وهو تأمين مزيد من وسائل الراحة المادية بصرف النظر عن العزاء النفسى والروحى. فترى كل واحد منهم يلهث وراء ملذاته الشخصية. كما ينعدم الإحساس بالأخوة بين الإنسان وأخيه الإنسان.

لقد اختفت فكرة رعاية شؤون المجتمع وأصبحت النزعة الفردية هى الفلسفة الغالبة المسيطرة فى هذا القرن العشرين. تلك صورة مؤسفة أرسمها عن بنى وطنى إلا أن واجبى كمسلم هو الذى دفعنى إلى البيان لأخوتى المسلمين فى الأقطار الشرقية كيف كانت الأنانية الحاضرة فى أوروبا وأميركا نتيجة لتصورهما الخاطئ لحقيقة الخالق.

أدعو الله أن يأتى اليوم الذى يصبح الإسلام الدين الوحيد فى كافة القارات فى العالم. وأننى موقن بالإجابة إن شاء الله.



أمريكا :

٧. استريد هيرما سمارت

كيف اعتنقت الإسلام ولماذا...؟

يبدأ الأخ سمارت قصته بقوله :

دعيت لإبداء الأسباب حول اعتناقى الإسلام ويسعدنى كثيراً أن ألبى رغبة أولئك الذين ساعدونى فى سلوك طريق طويل وشاق، وإن شاء الله سيرشدوننى أكثر ونحن معا على الدرب.. قد تبدو هذه العبارة مبتذلة يقولها كل من يعتنق دينا أو مذهبا سياسياً جديداً، ولتعديل هذا الرأى اسمحوا لى أن أبين أن مجرد ذكر كلمة «مسلم جديد» يؤلمنى كثيراً، فهذا التعبير فيما أعتقد يحمل فى اللغة الإنجليزية معنى خبيثاً، فيشير إلى ذلك المسكين العاجز فالحمد لله الذى خلصنا منه، وأنا لا أعتبر نفسى مسكينا بحال من الأحوال، فقد نشأت فى ربوع حكمة قديمة هى أن الله يعين هؤلاء الذين يعينون أنفسهم، كما أن من العسير علىَّ أن أصوغ مبادئى الدينية فى كلمات.

البداية :

بدأت القصة منذ ثلاث سنوات عندما كنت ملتحقاً بجامعة الينوى (Illinois University) بالولايات المتحدة الأميركية فقد التقيت حينئذ بمسلم مصرى قدم لى نسخة من القرآن الكريم هدية فى عيد ميلادى، ومما آلمنى كثيراً أنه كان مكتوباً باللغة العربية وكنت شاباً أميركيا، فتحمست لمعرفة ما فيه، وكنت طالباً أدرس اللغات وأعتقد بضرورة قراءة ما يقوله الآخرون فى لغاتهم، وهنا قررت لأسباب ثقافية بحتة فى ذلك الحين أن أتعلم اللغة العربية كى أتمكن من قراءة «كتابى الصغير المقدس»، كما كنت أسميه، وكنت أؤمن باحترام كتب الأديان كلها رغم أن هذا الموقف لا يمثل النظرة النصرانية، وما زلت أذكر بعض المناقشات التى نشبت بينى وبين أصدقائى النصارى، وبقى القرآن فى جيبى ملفوفاً بمعطفى كيلا يتسخ فحملته معى حيثما رحت بالرغم من عدم فهمى لكلمة واحدة منه...

الصُّحبةُ الصَّالحةُ:

ومضى الزمن فانتقلت إلى الجالية العربية في جامعة الينوى وكنت أدعى دائما للاشتراك في شؤون الأسرة الجامعية العربية. وأداء المهمات التي كنت أستمتع بها حتى أنني كنت أبدي احترامي وعرفاني بالجميل لاعتبارهم لي أحد أفراد الأسرة فقد بذلت وقتي وما لدي من مهارات قليلة للمساعدة متى لزمت، ويسرني أنّي كنت سائقاً في كثير من النزهات التي رتبها أعضاء الاتحاد العربي، وكنت أشترك في إعداد الطعام وتناوله كذلك، كما شاركت في إقامة المعارض في الأسبوع الدولي للمعارض، وكنت مرشداً في اللغة الألمانية لصديق كان يستعد لاختبارات لغوية مطلوبة ضمن برنامج الجامعة لنيل درجة الدكتوراه، وقد أتقن ذلك تماماً. ولم يقف الأمر عند حد استمتاعي كثيراً بأداء هذا النشاط بل كسبت مزيداً من التمعن والفهم للعقلية الإسلامية من الذين اتصلت بهم. صحيح أن النصرانية تنادي بالشفقة وأن يكون المرء حارساً لأخيه، ولكن إذا قورنت هذه العبارة بأخلاق مسلمي (الينوى) وأعمالهم ومدى عطفهم على بعضهم البعض وعلى الآخرين فإنها تبدو عبارة جوفاء، وسأذكر أمثلة لذلك: فَمَن غير المسلم يتبرع بتوصيلي إلى البيت وسط عاصفة ممطرة. وقد علمت فيما بعد أنه تلقى رسالة من عائلته بنبأ وفاة والده؟.

ومن غير المسلم يجمع التبرعات لأخيه المسلم الذي استنزف أمواله كي يتسنى له دراسة سنة أخرى لإنهاء إجازة الدكتوراه؟

ومن غير المسلمين يساعدون أخا لهم على نقل أغراضه التي ملأت ثلاث سيارات عندما طلب إليه إخلاء البيت فجأة؟ وقد قام بهذه العملية حوالي ثمانية عشر مسلماً. وعلى الرغم من ملاحظتي لكل هذه الحقائق فإني لم أفعل شيئاً سوى أنني كنت استمع لراديو القاهرة عند دعوتي إلى تناول الغداء مع بعض الأصحاب في بيت صديق فتذوقت القرآن الكريم، وكنت في ذلك الحين عضوا في معسكر نصراني أحضر الصلوات دوماً في الكنيسة أيام الآحاد.

تأملاتٌ في التناقضاتِ حَولي:

ولا أذكر الوقت والمكان الذي بدأت أتدبر فيه التناقضات الظاهرة في النصرانية فقد

بدا لى فى أحد الأيام أن الإيمان بثالوت الآلهة لا يمكن أن يتناسب مع مبادئى. وعبثا حاولت فهم الكتب النصرانية فقلبت ما قيل فيها بالنسبة لميلاد العذراء ولكن دون جدوى. وتساءلت كيف تمثلت روح عيد الحصاد فى حمامة؟! واحتشدت التساؤلات الكثيرة فى مخيلتى لذلك شرعت فى الاستفسار من أصدقائى عن دينهم، كما أخذت فى حضور الندوات التى يعقدها المسلمون بانتظام فى جامعة الينوى فاكتشفت أن الله واحد لا شريك له لم يلد ولم يولد. وعرفت ذلك بمساعدة أصدقائى المسلمين وبفضل الردود التى ترد فى الندوات كما اكتشفت أن هذه الحقيقة مسجلة فى القرآن الكريم. وبعد بحث عثرت على الآية التى تقول ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر:٤] وهكذا وضعت المسيح فى موضعه الصحيح من تصورى، لمكانته كنبى من أنبياء الله المرسلين، كما اصطدمت منذ زمن مع العرف النصرانى السائد باعتبار القسيس وسيطا بين الله والناس مع أن لدى الثقة الكاملة التى أستطيع بها أداء الصلاة. ولم أصدق حكمة الصلب أبداً، فلأى شىء يموت إنسان ضحية أخطاء وذنوب يرتكبها آخرون؟ إن الأمثلة الملموسة حول مغزى هذا الموضوع لا أصدّقها، لماذا لا توجد الوثائق؟ لماذا لم يكتب أى شىء عن حياة المسيح حتى مر وقت طويل بعد وفاته، فكل ما هو موجود الآن هو من قبيل الروايات، لقد كان بإمكان الكنيسة النصرانية أن تكتم سر تلفيق الأمبراطور قسطنطين مدة ألف عام، مما حدا بالأسقف الروسى باعتباره أول سلطة بابوية لم يدع لحضور مؤتمر فينيقيا إلى كشف السر. هذه مسألة تاريخية كما أن التاريخ يشهد بقيام الكنيسة بالسماح لأسقف ما ينز بتزوير الجريمة، ولكنها لم تعترف بذلك إلى قرابة عام ١٨٠٠م ولم يكن بوسع الكنيسة تقديم وثيقة أصلية تثبت أن المسيح ابن الله، فلا وجود لمثل هذه الوثيقة. لذلك بدأت أفكر وأتساءل.

الاتحاد الإسلامى:

وفى إبريل عام ١٩٦٣ شعر المسلمون فى جامعة الينوى بالحاجة إلى هيئة تقربهم وتربط بعضهم ببعض وتثبت حيوية الإسلام والمسلمين، فقاموا بتأسيس اتحاد. وقد وجهت لى الدعوة لحضور جلسات افتتاح الاتحاد. فرأيت لأول مرة كيف استطاع المسلمون من مختلف الجنسيات أن يعملوا معاً فى هيئة واحدة على مستوى البرلمان. ولا

أكتمكم أننى تأثرت بهذه البادرة الطيبة غاية التأثر. وقد لقيت ترحيباً كبيراً من المشتركين حتى أنهم منحونى عضوية فخرية فى الاتحاد. وبعد بضعة أشهر انتقلت إلى كاليفورنيا وكلى تصميم على أن أدعم الاتحاد ما وسعنى ذلك. وقبل وداعهم لى ابتهجت كثيراً بدعوتهم لى لحضور حفلة غداء جمعتنى بعضو مخلص من أعضاء الاتحاد، وهو مهنس عبقرى غادرنا للقيام بالتدريس فى جامعة ستانفورد لمدة عام واحد.

دُخُولِى فِى الأُمَّةِ الإِسْلامِيَّةِ :

ثم استأنفت دراستى فى كاليفورنيا وبعد الفترة الصيفية فى عام ١٩٦٤ فى بركلى وجدت لدى وقتاً كافياً لمتابعة قراءتى فشرعت جاداً بقراءة الكتب السماوية، وبعد أن أقنعت نفسى تركت المعتقدات النصرانية التى ولدت وعمِّدت فيها وطلبت الانتساب إلى الكتلة العظيمة من البشر ألا وهى الأمة الإسلامية، كان ذلك بفضل الله وهداه ثم بمساعدة الاتحاد وعلى الأخص رئيس الاتحاد فى ذلك الحين.

أحمد الله العلى القدير الواحد الأحد الذى أنار طريقى ببصيص من النور يوقد من شجرة مباركة هى نعمة الإيمان بالله. وأتوجه بالشكر لأعضاء الاتحاد فى أميركا ورئيسه الذين قدموا لى كل عون ممكن وأعربوا عن استعدادهم لمساعدتى أثناء بحثى الطويل عن الحقيقة، فهناك اعتبارات كثيرة تحتاج إلى استفسار كالعرف والذوق والنظام.. الخ، لم يكونوا يألون أى جهد فى وسعهم. كما تنشأ أسئلة كثيرة أخرى. فأنا أوافق ارسطو فى قوله «إن معرفتى بجهلى هو حكمتى الوحيدة» وإن شاء الله سأجد لأسئلتى أجوبة واضحة.



الهند:

٨ . بشير أحمد عبد الرحمن باتيل ❁

هكذا هداني الله إلى الإسلام:

يسرني أن أبلغكم أنني اعتنقت الإسلام بفضل من الله وهداه يوم الجمعة الرابع عشر من يوليو ١٩٦٧ حينما ذهبت بهدوء إلى المحكمة الشرعية ووقعت شهادة اعتراف خطية أمام القاضي ، قررت فيها أنني أعتنق الإسلام وأعرب عن إيماني العميق بالله الواحد الأحد وأشهد أن محمدا ﷺ رسول الله، وإنني سأبذل قصارى جهدي لاتباع الإسلام الصحيح بدراسة القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة دراسة استيعاب وفهم وتطبيق. واتخذت لنفسي اسما جديدا هو بشير أحمد عبدالرحمن باتيل بدلا من اسمي السابق: راميش شاندرا. ب. باتيل.

بحث طويل الأمد:

جاء اعتناقي للإسلام ثمرة بحث طويل الأمد في أعماق نفسي وفي خارجها فكان تأكيدا لفطرتي ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم : ٣٠] ومع ذلك فربما لم يكن من اللازم أن أحس بالحاجة إلى اعتناق الإسلام صراحة فقد كنت أسير على هديه في ذات نفسي من حيث هو عقيدة وصلاح. فمشيئة الله هي التي هدتني إلى اعتناقه وهو وحده الذي يعلم سر هذا ا لحادث.

هناك عوامل أخلاقية، و روحية واجتماعية متعددة لعبت دورها في اهتدائي إلى الاسلام ومن العسير عليَّ أن أشرح كل شيء في اللحظة الراهنة إلا أنني آمل أن أكتب المزيد في المستقبل.

ولدت في الهند في عام ١٩٢٩ وسط أسرة هندوكية عريقة ذات شرف وثقافة .. ونشأت في ظل تقاليد العقيدة الهندوكية العليا. وآلمني أشد الإيلام ما شاهدته من إيمان العقيدة الهندوكية بآلهة كثيرة، وعبادتها لها من خلال أحجار وصور وإيمانها

❁ هذه ترجمة عربية للقصة التي زودني بها الأخ بشير أحمد عبدالرحمن باتيل باللغة الانجليزية.

بأنهار مقدسة تغسل فيها الآثام، واعتقادها بالبرهمية - وهى عقيدة الرهبان الذين بوسعهم أن يساوموا الآلهة لمنح الخلاص لزبائنهم الدينيين، ثم ما تميزت به من ألوان التفرقة الطائفية وتكبيرها واتباعها الهوى لا فى المجتمع فحسب بل فى المجال الدينى كذلك. كل هذه الأمور جعلتنى أضيق بها ذرعًا قلبًا وقالبًا فشرعت بهدى من فطرتى أعلق أهمية أكبر على الاستقامة فى السلوك. إلا أن هذا لم يشبع القوة الدافعة فى نفسى. وكنت أحس بالسلام النفسى المؤقت تبعًا لأعمال الخير التى كنت أعملها من أجل الإنسان مجردة عن أى تعصب للطائفة أو اللون أو العقيدة أو المكانة أو الحالة أو الجنسية. ورغم ذلك كنت أحس بحاجة فى نفسى. لقد أرادت نفسى أن تعرف الحقيقة بالنسبة لخالق هذا الكون وسر الخلق. وفى جانب الحياة الظاهرة كنت أحس إحساسا عميقا بالمآسى الاجتماعية والسياسية، والاقتصادية والروحية التى تتعرض لها البشرية المكافحة. ولما شعرت بخيبة الأمل فى قرارة نفسى أخذت أبحث عن مذهب سياسى بوسعه أن يحل المشكلات الإنسانية فى هذه الدنيا، وحسبت أن الخدمة الاجتماعية ترضى اعتقادى بأن خدمة الإنسان خدمة لله.

سَرَابُ الشِّيوعيَّة :

فاتجهت إلى الشيوعية وسرت فترة فى حياتى تعمقت خلالها فى المذهب الشيوعى أكثر فأكثر، وبينما كنت أدرس هذا المذهب وأطبقه أخذ إيمانى بالله يتلاشى تدريجيا وأخذت القيم الروحية تفقد وزنها أمام الحجج العقلية المحدودة . ومرت سنوات حرمت خلالها من الإيمان بالله اللهم إلا إيمانى بالعدالة والاستقامة. ولكنى أحسست فى أعماق نفسى بالشقاء الكامل. كأن روحى كانت تصرخ لحرمانها من اندفاعها الفطرى للانضمام إلى الروح العلوية. وجاء الوقت الذى لم يستطع فيه عقلى المتعثر أن يقنع قلبى الذى كان فى لهفة شديدة إلى مبدأ حق يؤمن به. فقد عجزت الحياة المادية والخلقية والفكرية عن تحقيق السلام النفسى. وكانت روحى متعطشة لمبدأ روحى يحقق لها ما تصبو إليه من سلام.

ثم عاد لى إيمانى المفقود بإلهى من جديد وهو ما كنت أحس أنه روح قائمة بذاتها سامية تملأ الكون. ولكن كيف السبيل إلى الإحساس بوجوده؟ إذ أن العقل يغاير الشعور والإحساس ومن هنا أصبحت بحاجة إلى منهج ومنار هدى يقودنى إلى الشعور

بالنور الرباني. فبدأت من جديد أبحث وأنقب في ملتى الهندوكية الواسعة التى ولدت فى أحضانها، وأخذت أقرأ عن النصرانية والبوذية والجينية «Jainism» واليهودية وديانة السيخ والزرادشتية والفلسفة الصينية القديمة والبهائية والتصوف وأخيراً بدأت أدرس الإسلام. الذى كنت أحسن دوما بميل نفسى قوى يدفعنى إليه. وكان من عادتى أن ألتقى برجال متدينين ورجال دين يمثلون مختلف النحل باحثًا عن الصراط العملى المستقيم. ودفعتنى دراستى للكتب والمناهج المختلفة إلى الجزم بأن كافة الديانات السماوية قد أنزلت على الناس فى أوقات وأماكن معينة حملها إليهم أكثرهم صلاحا لهداية البشرية إلى معرفة إله الكون الواحد. وإن كل دين من الأديان السماوية المتعاقبة قد أخذ بيد الإنسانية المعذبة وقادها تجاه مرحلة أسمى من سابقتها. واتفقت جميع الأديان السماوية فى فهمها لغاية الوجود الإنسانى وهى الاعتصام بالنور الألهى، فمهما يكن المنهج الذى يسلكه الإنسان فلابد أن يحقق غاية وجوده الإنسانى شريطة أن يتوفر له الفهم الصحيح كما يتوقف ذلك على مدى ما يرثه ويتوسع فيه من فهم لصفات الذات الألهية. وظلت النفس الإنسانية تشوق لهذه الغاية التى جاء بها الدين بمعناه الصحيح. فلم يحدث قط أن عاش الإنسان بلا دين ما دامت لديه روحه الفطرية. ومن هنا كان المطلوب من الإنسان أن يفهم وأن يسلك النهج الصحيح الذى بلغ الكمال حتى يتناسب والحاجة الراهنة.

الإسلام منهاج الحياة :

هذه بعض الخواطر التى كانت تدور فى خلدى وأنا أقلب الكتب المقدسة عند مختلف الأديان.

لقد أيقنت أن الإسلام هو المنهج الذى يحقق هذه الغاية، فهو يمتاز بالبساطة والواقعية والاستعلاء والحساسية والشمول. فالإسلام يحترم كافة الأديان ويوقر جميع الأنبياء والقديسين والحكماء . قال تعالى: ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٦].

فهل هناك أبلغ من هذا الدليل على شمول الإسلام وعقيدته وإيمانه بالله الواحد

الأحد؟ وهل أفضل من قول الله تعالى كبرهان على ختم التنزيل: قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] وقوله: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ [آل عمران: ١٩].

كل هذه الحقائق بالإضافة إلى الإحساس الداخلى ودعوة الله فى أعماق نفسى، كل ذلك دفعنى إلى اعتناق الإسلام، هذا الدين الذى فسره القرآن وطبقه النبى الكريم محمد ﷺ فكان نموذجاً رائعاً لتخليص الإنسانية «من شقائها».

هذه هى العقيدة التى رضى بها عقلى وتجلت لفكرى وحببت إلى قلبى فبددت كافة الشبهات والشرور.

دعوة إلى المسلمين:

إننى أعمل الآن لدى حكومة تنزانيا كموظف فى التربية، فأنا الآن رئيس قسم اللغة الإنجليزية والتاريخ فى إحدى المدارس الثانوية المحلية، كما أننى أدرس الانجليزية فى الفرع المحلى لمعهد تربية الراشدين التابع لجامعة دار السلام. ويوجد فى دار السلام ست مدارس ثانوية منها مدرسة للبنات، أربعة من هذه المدارس نصرانية تبشيرية، وبالرغم من عدم وجود أية تفرقة دينية هنا فى تنزانيا، وبالرغم من أن الطلاب يرفعون حسب مواهبهم وتحصيلهم إلا أننى أعتقد أن الطلاب المسلمين لا تزيد نسبتهم فى هذه المدارس عن ٢٠٪ من مجموع الطلاب، والمسلمون يشكلون أغلبية السكان هنا فى تنزانيا إلا أن حالة التعليم بين المسلمين مؤسفة ومحزنة. وربما كان السبب كامنا فى جهلهم بحقيقة الإسلام وروحه، وفى الإغراء المادى للثقافة الغربية والديانة النصرانية. إن الجهل بكافة أشكاله الفكرية والروحية والاجتماعية والثقافية هو مصدر كافة ألوان الشقاء وخيبة الأمل التى يعانى منها المسلمون سواء فى هذا البلد أو غيره، والعلاج لا يكون إلا بإصلاح النفوس من الداخل، وصدق القائل:

«أقيموا دولة الإسلام فى نفوسكم تقم على أرضكم».

إن الإسلام فى أيامنا هذه يحتاج إلى وحدة الصف الداخلى، والتنظيم لمحاربة شياطين الجهالة، وتبديد الآفات التى تعمل من الداخل أولاً، فإذا لم نعالج الصف من الداخل فلا ينتظر منا أن نعيش لنحيى مجد الإسلام القديم ونجعله الحقيقة السرمدية، فلم يحدث أن

تمكنت أمة من تحقيق فوز دائم ما لم تتضافر جميع جهودها المعنوية والمادية والروحية فتصبح عنصراً واحداً، إن قوة الإسلام فى ذاته، فى خصائصه الروحية وشموله، وهذا هو سر غلبته فى النهاية. فإلى متى يظل الباطل والهوى الفانى والمتاع المادى يستعبد روح الحق وإشراقه فى نفس الإنسان؟ فإذا تحققت هذه الروح للمسلم فلن يفكر فى شيء إلا فى الفوز وعندها ستأتى البشرية الضائعة فى الشرق أو فى الغرب، فى الشمال أو الجنوب ستأتى صاغرة مطأطئة رأسها للإسلام تنشد الخلاص وتسارع للوصول إلى دار الخلد والخروج من الدنيا الفانية.

الأمل للباحثين عن الحق:

كثير من الناس فى الوقت الحاضر يبحثون عن النور ولكنهم لا يعرفون له سبيلاً بسبب جهلهم وتحيزهم. وكثير آخرون عثروا عليه إلا إنهم تعوزهم الشجاعة الأدبية للتخلى عن الارتباط العاطفى، وربما كانوا يعانون من شبهات فى ذوات أنفسهم تحول دون انضمامهم إلى الإسلام وثقافته وسيلعب الزمن والروح دورهما ولكن الذى يمكننا القيام به نحن المسلمين هو التمهيد لهذا الوقت. ولذلك فالباحثون عن النور جزء من مسئوليتنا.

إننى أفكر حاليًا فى وضع خطة لبعث الإسلام من الداخل ونشر النور بين الناس وعلى الأخص بين هؤلاء الأخوة الذين فشلت المادية والإبداع العلمى فى توفير السلام النفسى لهم. وها أنذا استعد فكريًا وماديًا وروحيًا كى أتمكن من القيام بدورى الذى أرجو أن يقدره الله لى. لابد أن أتعلم اللغة العربية لأزداد تعمقًا فى فهم الإسلام. لابد أن أعيش بالإسلام حتى أحس به من الداخل والخارج. لابد أن أسعى لاكتشاف السبل التى تمكننى من الإعداد لهذا الهدف ولابد أن أكتب وأعمل بنشاط لخدمة الدين والإنسانية.

فإذا اعتقدت - أيها القارئ الكريم بصحة اتجاهى، يمكنك أن تنقل أفكارى وآرائى للآخرين من أشخاص ومعاهد لها اهتمامات مماثلة. والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم.

❊❊❊

نيجيريا:

٩. إبراهيم نياس نواجي

منصر يعتنق الإسلام

زار الكويت في مطلع عام (١٩٦٨م) داعية مسلم من نيجيريا الشرقية هو الحاج إبراهيم نياس نواجي مدير المركز الإسلامي في أفيكبو بنيجيريا الشرقية، وكان الهدف من الزيارة مناشدة المسلمين في البلاد العربية لتقديم المساعدات المادية والمعنوية إلى إخوانهم المسلمين في نيجيريا، ومما هو جدير بالذكر أنه روى لنا طرفًا من قصة إسلامه نورده فيما يلي:

كان الحاج إبراهيم نياس نواجي مبشراً نصرانيًا يشرف على كنيسة في شرق نيجيريا. وكان اسمه (نيوجي) ثم أراد الله له الهداية فأسلم على يد أصحاب الطريقة التيجانية - وهي طريقة صوفية لها اتباعها في أفريقيا، وسمى نفسه إبراهيم نياس تشبهًا بصاحب الطريقة التيجانية في السنغال. فأصبح صوفيًا يعتزل الحياة العامة. ثم التقى بتاجر مسلم في نيجيريا من أصل شامي أخذ يدعوه إلى التحول إلى داعية مسلم في نيجيريا بدلاً من حياة الاعتكاف والدروشة ويقول: لأن يهدى الله بك رجلاً خير لك من حمر النعم. وبعد محاولات كثيرة وبعد أخذ و رد كان يحتج بقوله ينقصنا المال. فيجيبه التاجر المسلم: خذ ما شئت من مالي ولا تعتبره عقبة في طريقك. فما كان من إبراهيم نياس إلا أن وافق وأخذ شيئًا من المال وأخذ يعمل للدعوة الإسلامية. فأسلم على يديه ستة آلاف شخص كانوا يسكنون قريته التي كان يعمل فيها مبشراً نصرانيًا كما ذكرنا.

وسرعان ما فكر إبراهيم نياس في إنشاء مسجد للدعوة الإسلامية. فالتفت حوله فلم يجد إلا الكنيسة الخاوية التي هجرها سكان البلدة على أثر إسلامهم. فأخذ يعمل على تحويلها إلى مسجد. ولما باءت محاولاته بالفشل حض أتباعه على إحراقها. فما كان منهم إلا أن أحرقوها. ومن هنا ثارت ضجة هائلة في الصحف النصرانية وأعتقل الحاج إبراهيم نياس هو وزوجته التي أسلمت معه، ثم قدّم للمحاكمة فدافع عن نفسه بأن

الكنيسة بنيت من ماله هو ومن أموال أهل بلدته الذين أسلموا[1]، فأسقط في يد القاضي. ولما عجز عن إثبات إدانته حكم عليه بغرامة مالية لمخالفته أوامر البلدية بهدمه الكنيسة دون استئذانها. فدفع الغرامة بعد أن قضى هو وزوجته في السجن بضع سنين صبر خلالها على دينه وكان بمثابة جلاء لروحه ونفسه.

خرج إبراهيم نياس من السجن وهو أشد عزمًا وأصلب عوداً وأقوى إيمانًا. فأخذ يعمل على إقامة مسجد في أفيكبو وقاد حملة لجمع التبرعات. وبنى المسجد الذى كان يحلم به. وهكذا انطلق بدعوته حتى كثر عدد الذين هداهم الله على يديه. ثم اتسعت دائرة نشاطه فأخذ يعمل على إنشاء مركز إسلامى إلى جانب المسجد. وقام بجولة فى العالم الإسلامى لجمع التبرعات وكسب التأييد لمشروعه. فمرّ بالكويت حيث حصل على خمسة عشر ألف دينار. وبعد أن أكمل جولته عاد إلى بلاده فرحًا مسروراً وسرعان ما شيد المركز الإسلامى ووضع حجر الأساس لبناء مستشفى للمسلمين. وانتشرت الدعوة الإسلامية على يدية حتى بلغ عدد المسلمين فى شرق نيجيريا حوالى مئة وخمسين ألفًا كلهم من الأيبو - القبيلة النصرانية هناك-.

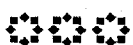
شرع أعداء الإسلام فى الكيد لهذا الداعية الجديد. وخافوا على مستقبل شرق نيجيريا الغنية بمواردها الطبيعية. وأخذوا يحذرون بأنه إذا لم يوقف النشاط الإسلامى فلم يمض وقت طويل حتى يصبح أغلبية السكان من المسلمين. وما يجدر ذكره أن السفارة الإسرائيلية فى نيجيريا بعثت إلى إبراهيم نياس وهو فى لحظة كان يحتاج فيها إلى المال، بعثت له رجلاً منافقًا يظهر إسلامه فقال له: إن السفارة الإسرائيلية على استعداد لمنحك ٥٥ ألف دولار شريطة أن تصبح قاديانيًا. فما كان من إبراهيم نياس إلا أن رفض ذلك وقال: إن معى ربى يغنينى عنك وعنها.

وبينما كانت دائرة نشاط الحاج إبراهيم نياس تتسع وتتسع وبينما كان عدد المسلمين يتزايد أعلنت نيجيريا الشرقية انشقاقها عن نيجيريا الاتحادية. واشتعلت نار حرب ضروس بينها وبين المسئولين فى الحكومة الاتحادية. فبدأت مرحلة حساسة دقيقة من

(١) الإسلام دين السلام، ولذلك ما كان ينبغى أن تحرق الكنيسة، وإنما يحاول أصحابها تحويلها بالحكمة والصبر، ولعل عذرهم هو أنهم حديثو عهد بالإسلام، ثم هم أصحاب الكنيسة الخالية، ومع ذلك لا يصح إحراق دور العبادة بمثل هذه الشبهة، والله أعلم.

حياة إبراهيم نياس ودعوته الإسلامية. وشعر أعداء الإسلام أن الفرصة قد أصبحت مواتية للقضاء عليه. فما كان منهم إلا أن حضوا الحكومة الانفصالية على مطالبة المسلمين بالتطوع فى صفوف الجيش لقتال إخوانهم فى نيچيريا الاتحادية والدفاع عن بيافرا - وهذا اسم نيچيريا الشرقية بعد الانفصال - فما كان من المسلمين إلا أن رفضوا. وكان على رأسهم إبراهيم نياس. فأصدرت حكومة بيافرا العسكرية أمرا بمصادرة أملاكهم وفى مقدمتها المسجد والمركز الإسلامى. وأخذ رجال الجيش ينكلون بالمسلمين حتى قتل خلق كثير. وفر الباقون إلى لاجوس عاصمة نيچيريا الاتحادية. ومما يؤسف له أن عدد اللاجئين المسلمين الذين وصلوا إلى لاجوس قد بلغ حوالى تسعة آلاف لاجئ مسلم مجردين من أموالهم وممتلكاتهم. وهم يستصرخون العالم الإسلامى كى يهب لإنقاذهم. فيا ليت قومى يعلمون!

بالرغم من كل هذه النكبات لم تفتر عزيمة الحاج إبراهيم نياس نواجى وها هو ذا يناشد المسلمين فى كل مكان لمساعدة إخوانهم المنكوبين. ويقوم بجولة فى أنحاء العالم الإسلامى لتعويض الخسائر والمضى قدمًا فى الدعوة الإسلامية دونما خوف أو وجل. والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم.



كندا:

١٠. عبد الرحمن باركر *

إن السيد عبد الرحمن باركر رجل دخل فى الإسلام وهجر النصرانية وهو من أصل كندى وأستاذ اللغة الأوردية بجامعة مجل فى كندا، وبناء على طلب من رئيس اتحاد الجمعيات التبشيرية الإسلامية نهض ليخاطب المستمعين ويشرح الظروف التى أدت إلى إسلامه، فتحدث باللغة الأوردية بطلاقة تامة.

فقال بأنه فى صغره اكتشف أن نصف الكرة الغربى تشيع فيه المادية ولم يأبه النصارى ولا اليهود بالدين، وكان والده رجلاً ملحداً اعتاد أن يقول: بأنه إذا كان الله موجوداً فكيف يستطيع أن يهتم بصلاة كل فرد من مخلوقاته الذين لا يأتى عليهم الحصر والذين يعيشون فى كافة الأجرام السماوية؟ إلا أن باركر الشاب كان مهتماً بدراسة الدين وكان حريصاً على اكتشاف العقيدة الصادقة فأذن له أبوه أن يختار لنفسه اعتناق أى دين من الأديان، ومن ثمة شرع السيد باركر يبحث عن العقيدة الحقة، فأجرى دراسة مقارنة للأديان المختلفة بما فى ذلك الهندوكية، ولما كان الإسلام قد اتخذ صورة مشوهة فى الغرب وحيث إنه يوصف بأنه دين البرابرة الأجلاف الذين يهيمون بقطع رؤوس النصارى فإنه لم يبذل أية محاولة جادة لدراسته، ولكنه لم يجد ملجأ فى النهاية إلا فى الدين الإسلامى.

وذات مرة بينما كان فى (لكهنؤ) لقيه طالب مسلم يعتنق الشيوعية وقال له: «إذا أردت أن تشاهد أكبر رجل محافظ على الدين فى العالم فتعالى معى إلى والدى» فذهب السيد باركر لمشاهدة والد زميله الطالب فوجده شيخاً وقوراً للغاية يشع من وجهه نور الإيمان وشفافية الروح فأهدى إلى السيد باركر ترجمة إنجليزية لمعانى القرآن الكريم.

وسارت عجلة الزمن وأخذ السيد باركر يجرى بحثاً فى لغة هندية معينة فى أشد

* مقتطف من مجلة ذاميناريت – باكستان – عدد أغسطس ١٩٦٦.

المقاطعات الهندية تأخراً، وفى أحد الأيام وبينما كان يبحث عن كتاب مشوق يقرأه عثر فى حقيبة عفشه على الترجمة الإنجليزية لمعانى القرآن، ولما لم يكن معه كتاب آخر غيرها أكب على قراءتها، وما أن قرأ عدة صفحات حتى أسره جمال الكتاب وحكمته، وعندما انتهى من قراءة الترجمة اقتنع بصدق الإسلام ولم يكن حينئذ أى داع للتأخير، فذهب لتوه إلى لكهنؤ ودخل فى الإسلام على يد ذات الرجل الربانى الذى أهدى إليه الترجمة.. وقال السيد باركر بأن الناس فى الغرب ينظرون إلى الإسلام من خلال المسلمين فيرون أن نسبة كبيرة من المسلمين لا يعلقون أهمية كبيرة على النظافة ويظلون على قذارتهم، فيتهم الغربيون الإسلام بذلك، فقد يكون بعض المسلمين كذلك فعلا إلا أن الإسلام دين النظافة، وقال بأن الإسلام يتضمن كل ما هو خير، وأن من واجب المسلمين اليوم أن يكونوا صوراً صادقة لإسلامهم، ودعا الشبان المسلمين الذاهبين إلى ديار الغرب أن ينفقوا جزءاً من وقتهم للتعريف بالإسلام فى كافة أنحاء العالم.

❖❖❖

مصر:

١١- الدكتور عَبْده إبراهِيمْ(*)

(تعريف فى سطور)

- هو المرحوم الدكتور عبده إبراهيم، ابن إبراهيم أفندى عبد الملاك من حى الظاهر بالقاهرة.
- ولد فى عام ١٨٨٤ ميلادية.
- وصل إلى المرحلة الثانوية (ولها شأن فى تاريخ حياته) بين عامى ١٨٩٦ - ١٩٠٠.
- درس الطب بالقصر العينى خمسة أعوام ولهذه المرحلة (بدورها) شأن فى تاريخ حياته، وكان ذلك بين عامى ١٩٠٠ - ١٩٠٥.
- التحق بالوظيفة العامة من سنة ١٩٠٥.
- تزوج فى صيف سنة ١٩٠٦.
- رزق بابنه الأول فى يوليو سنة ١٩٠٧.
- ورزق بابنه الثانى فى يناير سنة ١٩٠٩.

ولكل من الابن الأول والابن الثانى شأن فى تاريخ حياته.

- كان أول عهده بالوظيفة العامة بمصلحة السجون (طبيب السجن) بين عامى ١٩٠٥-١٩١٠.

- وكان آخر عهده بالوظيفة العامة بوزارة الصحة (طبيب مركز) بالسنبلاوين دقهلية بين عامى ١٩١٠-١٩١٤، ثم طبيب مركز ههيا (الشرقية) بين عامى ١٩١٤-١٩١٨.

(*) هذه القصة كتبها الدكتور عيسى عبده إبراهيم الذى كان له فى هذه القصة شأن مهم وطريف يبدأ منذ ولادته.

- توفى إلى رحمة الله بالقاهرة فى شهر يونيه سنة ١٩١٨ بحمى التيفوس، وكانت العدوى قد انتقلت إليه أثناء عمله فى المخيمات التى يعزل فيها المرضى، وكان الوباء قد انتشر فى بعض مواقع الشرقية بسبب تحركات الجنود الذين حشدهم الحلفاء فى الحرب الكبرى (١٩١٤-١٩١٨).

- ظن الطبيب بحكم الممارسة المتصلة أن الخطر الذى يهدده غير يسير (ولعله أحس أيضاً بدنو الأجل، فقد كان صالحاً يرحمه الله) ولذلك أقفل الدار والعيادة الخاصة واصطحب أسرته كلها (زوجة وأربعة أبناء وطفلة فى الشهر الثانى من عمرها) وشغل ديواناً بالدرجة الثانية بالقطار، واعتزل هو وأسرته جميع الركاب لوقاية الناس من احتمال العدوى.. وفى القاهرة بحى السيدة زينب بجنينة قاميش فى منزل صهره المرحوم الشيخ عبدالحميد مصطفى عكف الأطباء على علاجه أو متابعة المرض، ستة أيام.. وافاه بعدها الأجل يوم ١٩١٨/٦/١٨ بعد المغرب بقليل.. وكان من بين الأطباء الذين باشروا العلاج المرحوم محمد توفيق صدقى والمرحوم محمد عبدالحى، والمرحوم محمد رضا.. ودفن فى مقابر أصهاره بقرافة الإمام الشافعى بالقاهرة.

القصة كاملة:

فى أواخر القرن التاسع عشر كان «الخواجة» إبراهيم أفندى عبدالملاك يعيش فى حى الظاهر بالقاهرة، ومن حوله أسرة كبيرة العدد من الأقرباء والأصهار.. فقد كان التقليد المتبع هو تجمع الأصول والفروع فى مساكن متقاربة (فى مصر وفى غيرها من البلاد العربية) كما كان بعض الأحياء يميز بأن سكانه من القبط القدامى فى مصر.. ومن هذه الأحياء حى الظاهر.. وقد شغل الخواجة إبراهيم عبدالملاك منزلاً متوسطاً (رقم ٧٢شارع الظاهر) أما لقب «خواجة» فقد كان يطلق على وجهاء القبط ورجال الأعمال.. ومنهم إبراهيم أفندى الذى احترف تجارة الجملة والوكالة بالعمولة، واتخذ مقراً له بحى الجمالية حيث يقضى يومه كله.. ولا يستقر فى الدار إلا يوما واحداً فى الأسبوع هو الأحد.. وفى هذا اليوم تجتمع الأسرة من حول مائدة الغداء.. ويحرص البعيدون عن حى الظاهر من أفراد الأسرة المقيمين بالقاهرة على هذا الاجتماع العائلى الدورى (ولهذه الجزئية صلة بموضوعنا).

رزق الخواجة إبراهيم عبدالملاك أربعة أبناء هم: عبده ونسيم وفهيم وسليم.. بالإضافة إلى عدد من البنات، وحرص على تعليم الأولاد فألحقهم بالمدارس ووفَّر لكل منهم فى دوره كل ما يلزمه .. وكان ولده الأكبر «عبده» مجتهداً فلم يتخلف سنة واحدة حتى وصل إلى السنة الثالثة الثانوية.. حين صادفته ظروف خاصة ترتب عليها أن بقى للإعادة.

فكيف تخلف التلميذ المجتهد «عبده إبراهيم» فى امتحان البكالوريا ولم يعهد عليه ضعف أو تراخ.. فضلاً عن الرسوب فى الامتحان؟ هذا هو أول الطريق إلى صلب الموضوع .

زُمَلَاءُ الدِّرَاسَةِ :

اتبع بعض نظار المدارس الثانوية فى أواخر القرن قبل الماضى (أعنى التاسع عشر الميلادى) أسلوب الخلايا العلمية التى تقوم على أسس من التآلف بين الطلاب.. دون تحديد عدد معين ودون محاولة الربط بين خلية وأخرى.. إذ كان القصد هو مجرد التجمع فى «صحبة» أو «شلة» أو «ربع» ليكون نشاطهم العلمى والاجتماعى أصلح من الناحية التربوية.. مما لو ترك الفرد فى سن المراهقة وأول النضج.. وحيداً فى نزهته حبيساً فى حجرة الاستذكار بداره.

وهكذا اجتمع محمد توفيق صدقى، وأحمد نجيب برادة، وعبده إبراهيم فى خلية واحدة، تآلف أفرادها من أول الدراسة الثانوية.. وما وصل ثلاثتهم إلى السنة الثالثة حتى كانت المودة تشد بعضهم إلى بعض.. وسنشير إلى كل منهم فيما يلى باسم واحد توخياً للإيجاز فنقول:

صدقى - برادة - عبده.

كان صدقى أيسر حالا وتقع داره فى (جنينة لاظ) المتاخمة (لجنينة قاميش) بحى السيدة، وللدار منظرة فى الداخل إلى اليسار.. تكاد تنفصل هى ومنافعها عن البيت كله.. ومرة أخرى نكرر القول بأن هذه الإشارة لها ما بعدها.

أما برادة فقد كان رقيق الحال كفله عمه بعد وفاة أبيه.. فلم يكن الصحب يغشون دار

عمه هذا بالحلمية إلا نادراً.. وكانت الدار فسيحة على الطراز القديم ولها صحن فيه بئر ودلو.

وكانت دار عبده (بالظاهر) بعيدة عن السيدة زينب وعن الحلمية بمسافة طويلة.. بمعايير ذلك العهد فضلاً عن وقوع حجرته الخاصة فى الطابق الثالث مع الأسرة.. وهكذا اضطلحت العوامل على تفضيل «منظرة» صدقى للقاء بقصد الاستذكار وما يصحبه من صخب الشباب أحياناً.. وزاد من قيمة هذه المنظرة قربها من مواقع المدارس الثانوية ثم المدارس العليا.

أول الطريق :

لكن الأصحاب الثلاثة كانوا يغشون دار العم «برّادة» بالحلمية أحيانًا.. وفيها الصحن والبئر والدلو.. فإذا وجبت الصلاة قام صدقى وبرادة وتوضأ كل منهما بدوره.. ثم أقاما الصلاة.. ومن دونهما عبده يرقب بعض الوقت ويتشاغل عنهما بالنظر فى أوراقه ما أمكنه ذلك.. وبتكرار هذه المواقف (من وقت لآخر) خلال السنتين الأولى والثانية من الدراسة الثانوية قام فى نفس عبده تساؤل عنيف عن سلوك صاحبيه.. ما شأنهما ؟ وأفضى إليهما بقلقه من وجود خلاف بينهم كجماعة متحابة ومتماسكة فى أمر جوهرى كهذا، وبخاصة وأن هذا الخلف لم يكن باختيارهم.. وإنما بحكم التوارث وحسب فهو لا يفعل فعلهم لأنه جاء إلى هذه الحياة الدنيا فى أسرة نصرانية.. ولو كان مثلهم من أسرة مسلمة لما كان الخلاف، ثم إنهما كذلك لا يذهبان إلى الكنيسة فى يوم الأحد ولا يفكران فى شىء من ذلك لأنهما ولدا فى محيط إسلامى.. قال عبده فيما يرويه برادة (رحمه الله الذى عاش طويلاً بعد صاحبيه) قال عبده: ليس هذا هو الشأن بين إخوة جمع بينهم رباط العلم.. وإنه لمن الإخلال بواجب المودة الخالصة من شوائب المادة أن تستمر الحال هكذا..فإما أن يكونا هما مخدوعين وإما أن يكون هو جاهلاً بما يؤمنون به.

ثم نهض عبده من مجلسه وتقدم إلى البئر.. وتبعه صاحباه وقال: أريانى كيف تفعلان وأعينانى كما تتعاونان فى إخراج الماء وصبه.. ثم أجرى الماء على يديه ووجهه

وذراعيه وقدميه فى تجربة بدائية لا تهدف إلا للوقوف على شىء ما.. أو على بعض هذا الشىء المجهول له: ما حكمة صب الماء على أعضاء من الجسم مع التكرار.. ومن التجربة لاحظ أن أول الآثار التى أحاطت به قدر من اليقظة والانتباه نتيجة لصب الماء البارد الذى يرفعه الدلو من بطن البئر.. ثم تأمل نظافة الأيدى ومنافذ الوجه والقدمين، وقال: يبدو لى أن فى الأمر سراً.. فما هذا الذى تصنعان عبث صغير.. بل أرى من ورائه بعض المعانى التى يحجبها عنى جهلى بدينكما فحدثانى عن حكمة الوضوء وعن حكمة القيام والقعود الذين تصنعان فى دأب وتكرار.

البَحْثُ عَنِ الحَقِيقَةِ:

لم يكن صاحباه من العلم بمنزلة تؤهلهما لإجابة شافية.. قال: أنتما مقلدان وأنا مقلد.. ولا خير فينا، فهلا تعاهدنا على البحث فى حقائق الدين وأسباب ما نحن فيه من خلاف!! فكان العهد الذى أخلص له كل من صدقى وعبده.. إخلاصاً صرفهما معظم السنة الثالثة الثانوية عن دروسهما واقتصد برادة فى الوفاء بالعهد لأنه كان يشعر بأن حاجته الكبرى قد كانت إلى اختصار الضيافة التى فرضتها الأحداث على عمه، وهكذا استغرق الشابان فى الإطلاع على ما وصلت إليه يداهما من المراجع الباحثة فى الدين.. وتوفر الثالث على دروسه قبل كل شىء فحصل وحده على شهادة البكالوريا ورسب صاحباه وبقيا للإعادة، وقيل فى تفسير هذه الظاهرة المفاجئة فى حياة كل من صدقى وعبده.. ما قيل وتهامس الأهل بأنهما أغرقا أو غلبت عليهما الأهواء.

وجد صدقى أن ثقافته فى الدين لا تذكر، وشعر بأن وصفه بأنه يقلد هو أقل ما يقال فى حقه.. فتعلق بدراسات شتى تقربه من المعرفة.. وبدأ يهتم بأخبار ندوات العلوم الدينية ومجالسها والمحاضرات العامة، ومن هنا نشأت بينه وبين المرحوم الشيخ محمد رشيد رضا علاقة زادت على الأيام ثباتاً وعمقاً.. وكان عبده يصحبه أحياناً إلى هذه المجالس.. وينصرف إلى التأمل والموازنة بين ما حوته المراجع التى تتكلم عن الأديان من زاوية ومن أخرى، ودخل فى مرحلة الشك من أمر اتباعه لدين معين بمجرد تتابع الأجيال.. ونال من الهم ما لم يكن منه خلاص إلا بمزيد من البحث والتأمل.. وانقضى

عام الإعادة. والتحق الصديقان بمدرسة الطب وزاد اقترابهما من الوفاء بالعهد.. بقدر ما انشغل بإرادة بدراسة القانون إذ كان طالباً بمدرسة الحقوق من تاريخ حصوله على البكالوريا.

لم ينفرط عقد الصحاب الثلاثة ولا تنكر أحدهم للموثق الذى واثقوه.. وإنما اقترب اثنان منهما بحكم الزمالة وبعد الثالث بحكم تفرده بتخصص قائم بذاته.

وكانت تجربة الرسوب مريرة.. فاعتزم الصاحبان أن ينصرفا عن كل راحة أو لهو برئ.. وأن يقسما الوقت والجهد بين علوم الطب وعلوم الدين.

وانتقلا من المقدمات التى تدور حول وظائف الأعضاء ونحوها إلى ما هو أدخل فى اختصاصهما حتى حصلا على قدر من المعرفة بجسم الإنسان من دراسة التشريح، وكان عبده (بوجه خاص) ينهل من المراجع العلمية ليرتوى.. لا لكى يحصل على إجازة تفتح له باب الوظيفة أو الكسب من المهنة.. كان يعانى من ظمأ هائل لا يطفئه إلا شىء من العلم بحقائق هذا الكون.. ولو فى بعض ما احتواه.

كان يصعّد النظر فى السماء ويدور ببصره إلى هذه الأجرام من حوله التى لا يحصيها عدّ الإنسان قطعاً.. ثم يرتد البصر حسيراً إذ تقوم بينه وبين حقائق هذه السماء الدنيا حجب من الجهل التام بفرع من المعرفة لا يستطيع أن يقترب منه.. ثم يعود إلى جسم الإنسان، وقد تهيأت له ظروف الإمعان فى دقائقه والغوص فى خفاياه.. فيشبع نهمه إلى المعرفة هنا لعله يدرك من دراسة هذا المخلوق الذى يسمى «الإنسان» شيئاً لا يزال يجهله.. هو قدرة من خلق الإنسان على هذه الصورة، وقد كانت فى نظره صورة مذهلة.. تدل على قدرة لا تحيط بها الأبصار.. وتعلقت آماله بأن يكون حقاً أن البصائر تدركها.. وهنا بدأ يفكر فى أن الظاهرات المادية التى سمع عنها كالتجسد والميلاد وأكل الطعام والصلب.. يجوز أن تكون كلها أو بعضها مقبولة من حيث المبدأ.. إذا أضيفت إلى جسم الإنسان الحادث الزائل عن الوجود.. أما إضافة شىء منها إلى من خلق.. فهذا أمر يدمغه حكم العقل بالفساد، وتأباه الفطرة السليمة فضلاً عن القوة العاقلة المدبرة.

الفرار إلى الإسلام:

قال محدثى (المرحوم أحمد نجيب برادة) لم يكن الإسلام بعيداً عن صاحبنا وزميلنا عبده مذ توفر على دراسة الأديان قدر اجتهاده فى آخر عهده بالدراسة الثانوية وأول عهده بدراسة الطب.. ولكن دراسة التشريح نحو من عشرين شهراً نقلته من حال إلى حال.. فقد تملكه خوف من لقاء الله وهو فى تردده وجهالته بحقيقة التوحيد، والبعث والثواب والعقاب.. فاجتمع إلى صاحبيه وقال: بأنه آمن بالذى هما عليه، وبأنه سيبدأ باتخاذ ما هو مستقر من إجراء للتوثيق والشهر.

فزع صاحباه من هذه العجلة وقالا: بينك وبين التخرج ومدة الامتياز عامان ونصف عام.. وهذا الذى تقدم عليه ستكون له آثار شديدة على والدك وأسرتك.. ستطرد من الدار وتحارب.. وستعرض مستقبلك للبوار، وقد أمرنا ديننا بالحكمة وبالتعقل.. والرأى عندنا أن تسكت وأن تستخفى بدينك الذى تريد أن تعتنقه حتى تتخرج وتكون لك وظيفة ثم إنك فى حاجة إلى مزيد من الدراسة والله يعلم إن كنت صادقاً فيما تدعيه فأنت عنده مقبول إن صحت نيتك.. دون توثيق ودون شهر حتى تكون العلانية مأمونة.

تطبيق ومعاناة:

رضخ «عبده» للرأى الذى اتفق عليه صاحباه ووضح له ما فى العجلة من مجازفة، وكتم إيمانه زمناً ثم عاد يتصرف دون الرجوع إلى صاحبيه حتى لا يشيرا بما لا يحبه ويرضاه، فعكف على القرآن يتلو آيات منه كلما وجد فراغاً، وحرص على أن يكون فى جيبه دائماً، وبدأ يؤدى من الصلوات ما يتيسر له أداؤه فى خفاء خارج البيت أحيانا وفى حجرته الخاصة أحيانا.. ومضى عامان إلا قليلاً وبدأت مدة الامتياز (وهى أقل من عام) وحل شهر رمضان فاعتزم طبيب الامتياز أمراً، وما عاد يستشير أحداً.

تخلف عن حضور الغداء من يوم الأحد على عادته وعادة الأسرة كلها.. وسأل عنه أبوه ظهراً وعصراً ومساء حتى جاء فى ساعة متأخرة وقيل له بأن الأسرة كلها قلقة لهذا التخلف.. وذهبت بهم الظنون كل مذهب.. قال إن الأعمال فى «الاستقبال» كانت وفيرة على غير المألوف، واعتذر بعض زملائه فقضى اليوم كله فى مواجهة حالات عاجلة.

وجاء الأحد الذى يليه.. وتوقف الخواجة إبراهيم عن أن يذوق طعاماً حتى يصل ابنه الطبيب.. وطال انتظاره ساعات ثم قام إلى فراشه وقد داخله هَمّ لا يعرف مأتاه.. أو يعرف .. ولكنه يفزع بآماله إلى الكذب ..

وفى الليل وصل طبيب الامتياز وعليه من آثار الاجهاد ما يظنه شفيعاً.. واتجه لحجرته وتبعته أمه.. قالت إن أباك لم يذق طعاماً لأنه يكره أن يكون مكانك خالياً من غداء الأحد فهلا ترفقت بنفسك فيما تقبله من واجبات الزملاء، وهل ترفقت بوالدك وقد تقدمت به السن؟

قال يا أماه.. وحشد من صنوف المعاذير ما يظنه مقنعاً.. وهما لا يزالان فى حوار وإذا بالتومرجى يقف بالباب ويطلب «الدكتور» على عجل لوقوع حادث كبير زادت بسببه الحالات وتعين استدعاء الأطباء من الراحة.. كان ذلك فى منتصف الليل.. ولما يمض على عودة صاحبنا «عبده إبراهيم» من الخارج ساعتان قضاهما فى حوار هادئ ومرير مع أمه.. فطلب منها أن تعينه على إبدال ملابسه والمضى فوراً مع التومرجى.. الذى بقى بالباب ثم انصرفا ولف المكان سكون ينبئ بقرب هبوب العاصفة.

وفى الليلة التالية جاء من يوقظ الطبيب الشاب فى منتصف الليل لأن الطبيب النوبتجى اعتذر فجأة.. وبعدها تكرر الطلب فى جوف الليل من جديد.. مرة بعد أخرى وتنوعت الأعذار حتى جاء الأحد الثالث.. وأبوه يتابع ولا يتكلم.. فقد غشيه من الهم غاشية لا قِبل له بها.. وعلى مائدة الغداء جلس ذاهلاً ينتظر ساعات.. ثم تحامل على نفسه وأعانه بنوه حتى جلس فى مقعد مقابل لمدخل الدار وعينه شاخصة فى كل قادم.. وانقضت ساعات وساعات حتى قارب الليل أن ينتصف، وقد غرقت الدار فى سكون حزين.

جوارثم العاصفة :

وأقبل الطبيب الذى تخلف عن غداء الأحد ثلاثاً متواليات.. وألفى أباه لدى مدخل الدار فتمالك نفسه وحياه.. قال أبوه من غير أن يرد التحية: أين كنت طول هذا اليوم؟ قال: بالمستشفى كعادتى ثم جلس على مقربة، وساد الصمت فترة حتى تمالك الرجل

نفسه وقال في هدوء مصطنع: يا بني.. لم يعد الأمر خافياً وإني محدثك بما اجتمع عندنا من دلالات خلال العامين الأخيرين... واعلم أن الظنون التي أحاطت بي تكاد تقتلني فحدثني بحقيقة الخبر واصدقني القول.. فإن اليقين في حد ذاته أرحم مما أنا فيه أيا كان هذا اليقين.

قال الطبيب الشاب: إني محدثك بالصدق يا أبي.. فما هي هذه الظنون والدلالات التي تشير إليها؟

قال الوالد: كتاب المسلمين وجده (المكوجي) في جيبك من نحو عامين.. وهذا هو.. انظر إليه ألا يخصك هذا الكتاب؟

سكت الطبيب لحظة ثم قال: بلى يخصني.

عاد الوالد يقول: وأخوك «سليم» زعم أنه رآك من ثقب الباب وأنت تقوم وتقعد على غير هيئة الصلاة عندنا وحدّث أمه فكذبته ونهرته.. ثم راقبتك هي.. حتى ثبت عندها صدق مقالة أخيك فهل تفعل هذا حقاً حين تخلو إلى نفسك في هذه الدار؟

سكت الطبيب وقد بدا له أن الأمر جد ما بعده جد.. وعاد الوالد يقول: لقد أصابني من هذا ما لا قِبل لي باحتماله.. ولكني آثرت الصمت وحملت هذا كله على حبك للبحث والتنقيب حتى كان الأحد الذي مضى من ثلاثة أسابيع والذي بعده وهذا اليوم حين اتصل غيابك النهار كله وتكرر خروجك في الليل.. لقد ظننت أن هذا التصرف الغريب من جانبك له صلة بالشهر الجاري الذي يصومه المسلمون.. فهل أنت تفعل فعلهم.. أم هذه كلها مصادفات؟

فوجئ طبيب الامتياز الغارق في التدريب والبحث العلمي.. بهذا الموقف الذي انتهى إليه بإصراره على ممارسة العبادات قبل أن يكون حراً في حياته الخاصة كما نصحه صاحباه.. وأمام المفاجأة رأى أن يفرغ من حالة القلق.. فأقبل على والده وقال: لقد وعدتك بأن أكون صادقاً.. وما أردت أن أخفي عنك أمراً مصيره إلى العلانية حتماً.. وإنما أردت أن أؤخر حديثي إليك في هذا الشأن حتى تخف واجباتي بالمستشفى (ثم

سكت لحظة.. عاد بعدها يقول) ولكن مادمت تريد أن تستعجل هذا الأمر.. فاعلم أننى وجدت الدين الإسلامى حقًا واقتنعت بأنه قد بعث به نبى كريم.. كالذين بعثوا من قبل.

وقاطعه أبوه مستفهماً: ودينك الذى عليه آباؤك وأجدادك؟

قال: أى ضير يمس الأديان السابقة إذا جاء دين جديد يتمم الذى جاءت به الرسل من قبل؟

عاد أبوه متسائلاً: هل تعرف ما تتكلم عنه.. أم أن فى الأمر سراً نجهله..؟ لعلك على صلة بفتاة مسلمة اشترطت عليك أن تدخل دينها..؟ وهذا أمر جائز الوقوع.. ويحدث من وقت لآخر.. ولكن أن تدعى العلم بالأديان وأنها واحد كما تقول فهذا جهل فاضح بتعاليم دينك.. إن المسلمين لا يعرفون الأقانيم ولا يؤمنون بالرب المخلص «أبانا يسوع الذى فى السماء» وهم لا يعترفون بالمسيح الحى.. وهم.. وهم.. ثم استمر الوالد يعظ ولده وهو يظن بأنه يجهل حقائقه.. فصبر الطبيب برهة حتى أتم والده الحديث.. وتقدم منه خطوة.. وقد استجمع ما تفرق من نفسه لحظة المفاجأة.. ثم ابتسم لأبيه وقال:

يا أبى.. لقد درست هذا كله وأنا فى المرحلة الثانوية ومعذرة إذا قلت لك بأن وقتك لا يسمح بالتعمق فى شىء من ذلك.. فأنت مشغول بكسب معاشنا جميعاً.. وأنا أكبر أبنائك ولا أزال عبئاً عليك إلى وقتنا هذا.. إننى أقدر جهادك من أجلنا وأحبك لما أنت فيه من فناء فى سبيل المحافظة علينا.. وإن أقل ما أسديه إليك من معروف أن أتولى عنك دراسة هذا الخلاف بين الأديان.. وقد فعلت وأنا كبير الأمل أن يهديك الله إلى الدين الحق.. فتنجو من عذاب الآخرة.. ولا أظن أن والدتى تتخلف عنك أو أخوتى يختارون طريقاً غير التى يختار.. هذا الأمل كبير، يا والدى: هو الذى تعلقت به نفسى لأننى أكره أن أخالفكم إلى طريق النجاة وأن تنتهى همتى عند إنقاذ نفسى وحسب.. إننى إذن جاحد فضلك علىَّ...

صبر الوالد .. ما صبر.. ثم انفجر فى ولده الذى تحول إلى داعية وهو لايزال أمامه - فى تقديره الخاص - فى موقف المتهم.. صبر الوالد حتى نفد صبره.. ولم يبق إلا أن ينفجر فى ثورة عارمة.. أيقظت من فى الدار.. وإذا به يلعن اليوم الذى رأى فيه وجه

ولد عاق جرئ فى ضلاله.. وأحاط به بنوه وزوجته يهدئون من روعه وقد اشتد به الغضب.. ولا يزال يهدر بالشتائم وينذر بالويل والثبور.. وما من سبب واضح.. فالدار خالية منه.. فما سر هذه الثورة العارمة؟

إلى أين ؟!

كان الطبيب قد أدرك فى لمح البصر (بعد أن فرغ من حديثه عن الأمل الذى يعيش من أجله) أدرك أنه قد ارتكب عدة أخطاء.. لا خطأ واحداً.. فاندفع إلى خارج الدار لا يلوى على شىء.. وما حمل قرطاساً ولا قلماً ولا أى شىء من لوازمه.. وفى لحظات.. وجد نفسه فى الطريق العام.. وسار مجداً لعله يبتعد عن حى الظاهر كله.. وقد خشى أن يلاحقه أبوه أو بعض إخوته.. وإذ أوغل فى الطريق واقترب من حى ساهر كما اعتاد الناس فى شهر رمضان.. أحس بالحاجة الملحة إلى شىء من الهدوء.. لعله يلتقط أنفاسه.. وصادفه مقهى عامر بالرواد.. فانتحى منه ناحية وجلس يتأمل أحداث هذه الساعة من الزمان.. كيف بدأت وكيف انتهت.. ثم تحسس جيبه ليعلم كم قرشاً حواه.. وقفزت أمامه أسئلة شديدة الإلحاح الكتب والمراجع ومذكراته الخاصة.. وملابسه ولوازمه كطبيب؟ كلها فى حجرته الخاصة التى لم يقترب منها فى ليلته هذه.. مجرد اقتراب.. فماذا يكون من أمره فى غد، وفيما بقى من شهور حتى يستكمل مؤهله العلمى؟ ومن ثم يلتحق بوظيفة تعينه على الحياة؟!!

أزمة الأصحاب:

أدرك الموقف على حقيقته.. بعد قليل من التأمل.. واتجه من فوره إلى بيت صدقى ووصله آخر الليل، ولكن السهر فى رمضان شجعه على المضى حتى قابل صاحبه وأفضى إليه بتفصيل ما كان.

قال صدقى: هذه حجرتك من الآن (وهى المنظرة التى اعتادوا اللقاء فيها) وفى غد إن شاء الله تعالى فى طريقنا إلى المستشفى ننظر فى هذا الموقف المفاجئ.

قال محدثى بأن عبده إبراهيم كان منقطع الصلة بالحياة العامة تماماً... لانصرافه التام إلى الدرس والتحصيل لمهنته ... وللدين الذى أعتنقه.. وكانت لهذه الحال آثار فى

حياته الخاصة من يوم أن خرج من دار أبيه إلى أواخر أيامه.. بما فى ذلك اختيار الوظيفة والبيئة التى تحيط بها.

وكان لزاما أن يجتمع الأصحاب الثلاثة فى اليوم التالى، وأن يتدارسوا الموقف واحتمالاته ومنها: ثورة الخواجة إبراهيم على صدقى وبرادة، وملاحقته لولده عبده.. فضلاً عن تسامع الأحياء القريبة من مسرح الأحداث بهذا الأمر.. فسيكون فى حى الظاهر لغط وشائعات.. وسيكون فى حى السيدة زينب نظير ذلك.. ثم تتسع الدوائر من حول هذين القطبين وتنتشر التعليقات والأقاصيص.. ولكن الخطر القريب هو الصدام المرتقب بين الخواجة إبراهيم وبين الصاحبين صدقى وبرادة.. قالا لزميلهما: لقد تسرعت فى تصرفاتك الخاصة، وأخطأت بما ظننته من قدرة على هداية أبيك ومن بعده بقية أهلك.. وأوقعتنا جميعاً فى مأزق ما كان أغنانا عنه.

والطبيب الشاب.. ساكن هادئ.. يذكر قول الله تعالى ﴿إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء﴾ وبوده أن يراجع النص الكريم ونظائره وما تُحمل عليه الآية من تأويل وتفسير.. وكأنما هو فى أمن تام كما كان إلى الأمس القريب.. أمن تام من الحاجة إلى أبسط ضرورات الحياة.

قال محدثى (المرحوم أحمد نجيب برادة المحامى) وكان ذلك فى بعض المناسبات فى العقد الخامس من القرن العشرين.. قال: بأنه اجتزأ من موارده ثلاثة جنيهات فرنسية «ونتو» شهرياً وخصصها لصاحبه «عبده» واستمرت الحال كذلك عشرة أشهر حتى اكتمل الدَّيْنُ ثلاثين (ونتو) .. ردها الطبيب بعد استقراره فى أول وظيفة.. قال محدثى بأنه كان عندئذ أيسرهم حالا بعد أن كان الأرق حالا.. فقد سبق إلى التخرج قبلهم.. وأدخر ونشط إلى أداء بعض الأعمال الخاصة بالإضافة للوظيفة.. ومن ثم كان الأقدر على التمويل فى هذه الأزمة التى واجهها الأصحاب الثلاثة.. أما صدقى فقد كان إسهامه بالمأوى أسبق من إسهام برادة، وأما أدوات المهنة ومراجع الدراسة واللوازم الخاصة.. فقد خرجت من يدهم جميعاً ولا سبيل إلى تعويضها زمنا قد يطول.

بقى الخطر الكبير.. خطر المواجهة، وعنه قال الصاحبان: لا شأن لنا بذلك.. أنت صاحب فكرة الدعوة إلى دين الله ولما تخرج من دينك القديم بعد.. ولقد نصحنا لك فلم تستمع إلينا.. ونحن نرفض التدخل فيما ستمر به من أحداث.. وجاء الغيورون على

مستقبل الطبيب الشاب من أهله الأقربين والبعيدين.. وبحثوا عنه فى مكان وجوده، ولم يرهقهم البحث.. فهو لم يغير مكانه من منظرة الأضياف بمنزل صدقى بشارع الرصافة بجنينة لاظ.. لقد كان هذا الأمر معروفاً لهم جميعاً من وقت التحاقه بالدراسة الثانوية، وتوافد الغيورون زرافات ووحدانا وتكرر الحديث وتواكبت الملاحقة.. حتى ظن بأن هذا الفعل يشبه المؤامرة على مستقبله الذى يوشك أن يبدأ على نحو يرضيه.

مُوَاجَهَاتٌ وَمُجَادلاتٌ :

قال: ما حاجتكم وما هدفكم؟ قال: أرشدهم (وهو خاله) يا بنى أنك فرد مرموق فى أسرتنا وفى جملة القبط كلهم.. خلقاً وحسن سمعة.. ثم أنك توشك أن تكون طبيباً، وهذا الذى فعلت خسارة لنا لا نطيقها فضلا عن أنه فضيحة وعار لأسرتك وللنصارى فى مصر وفى غيرها فهلا استمعت إلينا؟

قال: إنى مستمع إليك لعلى أصل معكم إلى حل يحفظ لكم ولى أوقاتنا ومصالحنا.. بدلاً من هذه الملاحقة التى لا تجدى.

قال أرشدهم: إن أباك يدعوك إلى الاستماع لكلمة الحق من رجال الدين فهم أقدر على تبيان أوجه الضلال الذى أوقعك فيها خصوم ديننا.

قال: ما أوقعنى أحد.. فافهموا عنى هذا وإنما هدانى رب العالمين.

قال قائل منهم: إن كنت مؤمنًا بفعلتك هذه عن بينة وحجة.. فما عليك إلا أن تواجه علماءنا.

قال: لكم ما تريدون.. وإذ سئل عن المهلة التى يطلبها قال: بل أى موعد تضربون، وتم الاتفاق على تحديد يوم أحد قريب من مجلسهم هذا.. وانطلقت الأسرة إلى البحث والموازنة بين فريق من الكهان وعلماء اللاهوت لاختيار أكثرهم إطلاعاً على دقائق الدين والموازنات بين الفرق والنحل على أساس أن صاحبهم الذى ترك دينهم إنما فتن عن دينه الحق.. وكان الموعد فى دار أبيه الخواجة إبراهيم، وأنفق عن سخاء لإنقاذ ولده الأكبر مما هو فيه أو مما هو مقدم عليه.

حضر الطبيب الشاب منفرداً أمام جمع كبير.. ودارت المناقشات حتى ارتفع النهار

ثم استؤنفت لتمتد إلى أوائل الليل.. وبلغ الجهد من الفريقين ما بلغه.. وتوقف الطبيب عن تقديم إجابة مقنعة فى أمور ثلاثة.. حسبت عليه إلا أن يدلى بجديد من الأسانيد.. ولكنه مرهق وعلمه محدود.. فطلب مهلة أسبوع واحد.. وإذا كانت لجنة الإرشاد كذلك مرهقة.. فقد استجابت واعتبرت الجلسة ممتدة إلى الأحد الذى يليه..

حجج الإسلام :

لجأ الطبيب إلى المرحوم الشيخ محمد رشيد رضا، وكان يختلف إلى مجلسه من وقت لآخر.. ونفض إليه جملة الخبر فبين له ما غاب عنه وأمده بالأدلة من الكتب القديمة .. إذ لا يحتج عند لجنة الإرشاد بما جاء بعد عيسى عليه السلام.. ثم إن الشيخ رحمه الله.. زوده بأسئلة مضادة ... يثيرها حين يفرغ من الأمور التى توقف دون جلائها أو إثباتها.

وجاءت الجلسة الحاسمة.. فبدأت هادئة والكل ينصت لما يدور من قرع الحجة بالحجة.. والنصوص حاضرة تتلى من مراجعها على مسمع من الجميع.. فلم يعد كبير مجال للتهوين من تصرف الطبيب الشاب على أساس أنه رأى فرد ضال.. كما لم يبق مجال للقول بأنه واقع تحت عوامل الإغراء التى يقع فيها بعض الناس.. وأدركت لجنة الإرشاد أن الأمر جد.. فشددت النكير.. ولكنها وجدت لكل سؤال جوابًا.. ثم ووجهت بأسئلة مضادة أجابت عنها بعبارات تلوكها الألسن فى غير وعى أو تعقل.. وواجهها الطبيب بنصوص متعارضة فى الأناجيل وباعترافات لفريق من علماء أهل الكتاب.. الذين اعتنقوا الإسلام مع تحديد الزمان والمكان.. وإذا بهم من جنسيات شتى.. ومن مستويات علمية لا يسهل التشكيك فيها.. وأردف هذا كله.. برأى عالم فى اللاهوت يدحض رأى زميل له بشأن حقيقة الإسلام وثالث يسفه رأى الثانى.. ورابع يسخر من سابقه حتى وضح لكل ذى عينين أن رفض الإسلام لم يكن عن بينة عند أى من هؤلاء.

كان الحديث يدور عن التجسد والأقانيم الثلاثة.. وسابقة القول بالبنوة عند بعض اليهود.. وجرأة أهل الكتاب على جملة الأنبياء وانحدارهم فى هذا الأمر إلى مستوى من الإسفاف لم تعرفه البشرية.. ودعوى أبوة الجسد ليوسف النجار.. وقول فريق من

النصارى عن مريم ابنة عمران قولا كبيراً ووقائع الصلب فى كتب الرومان واليهود وتضارب أقوالهم بشأن الحادث وبشأن القيامة.. ثم عن الإسلام دار الحديث عن حقيقة الوحي والقرآن.. وحيرة أهل الكتاب من أمر إعجازه وتصديقه لما جاءت به الكتب من قبل وصدق الأنبياء بأنه لا رسول من بعده.. ولم يكن الطبيب يصدر فى أقواله عن رأى من عنده أو نص من حفظه.. وإنما كان يبسط الأسانيد العلمية وينسب القول إلى قائلة من كبار علماء الدين.. وبخاصة الكتابيين.

فوجئت لجنة الإرشاد والهداية بهذا التحول فى أسبوع واحد.. وأيقنت أن هذا الطبيب يعرف طريقه إلى الاستعداد لمواجهة الشبهات وما اصطلح بتسميته «الأسرار» فأنهت جلسة الصباح وعقدت اجتماعاً مغلقا تداولت فيه.. وخرجت إلى الجمع بقرار.. واتجهت الظنون إلى أن يكون القرار استئناف العمل بعد الظهيرة.. أو التأجيل أسوة بما حدث فى الأسبوع السابق.. ولكن هذا الجمع الحاشد فوجئ بقرار لا يبرره موقف الفريقين.. فالقضايا معلقة والأسئلة لا تزال على الشفاه حائرة. والكل فى شوق إلى متابعة هذا الجدال حتى ينكشف أمر هذا الفرد الذى تخلف عن السير فى موكب آبائه وأجداده.. وقد جاء من فحول العلماء ومن خبراء التبشير كل مقتدر على انقاذ هذا الشاب من ضلاله!! وإنه لأمر يعنى جميع الحضور.. ولا يعنى الخواجة إبراهيم وحده.

عجز ثم طرد من الرحمة المزعومة:

ولكن اللجنة رأت غير ذلك.. فأعلن رئيسها أنه بعد المداولة السرية.. أيقنت اللجنة بأن عبده إبراهيم بن الخواجة إبراهيم أفندى عبدالملاك.. من أسرة كذا التابعة لكنيسة كذا.. قد حلت عليه اللعنة الأبدية لهذه الكنيسة.. وأنه مطرود من رحمة أبينا يسوع المسيح.. مخلصنا وراعينا..وأنه، وأنه، إلى آخر ما لا يجوز إغفاله فى تصريح تاريخى كهذا.. له عندهم أصول وقواعد.

وما كاد الحبر الكبير يلقى بيانه وقد تعلقت الأنفاس من رهبة الموقف.. حتى حل الهرج والمرج محل السكون والوقار.. وارتفع الصخب فجأة.. بأخلاط من الأصوات فهذا

نحـيب وذاك نواح.. وهؤلاء رجال أفـزعـهم المصـيـر الذى ينتظر فـتى كـان من خيـرة شبابهم.. وتلك النسوة تجمع بين البكاء وبين أقبح الأصوات.

آكلوا السحت باسم الدين:

وإذا بالطبيب الشاب يشهد للمرة الثانية موقفا مزعجاً فى نفس المكان.. لقد فوجئ بقرار «المحكمة» قبل تمام المحاكمة.. ولذلك بقى فى مكانه مشدوها.. حال التلاوة.. وإذ بدأ الهرج والتدافع بالأيدى وبالمناكب.. تسلل من مجلسه إلى خارج الدار.. ثم إلى مسكنه المتواضع.. وقد تملكه شعور لم يكن يحس به من قبل.. ذلك أنه رأى لأول مرة.. رجال الدين الذين يتخذون من الهداية والإرشاد وسيلة لكسب المعاش يتصرفون على نحو أذهله .. فخالطه شعور بالعطف على عامة الناس الذين يلتمسون عندهم الرشاد .. قال الطبيب لصاحبيه: لقد احترمت هؤلاء الناس حين ثبتوا ودافعوا عن أمور خيل إليهم أنها صواب.. وكان ذلك فى أول لقاء معهم.. ولكن حقيقة أمرهم تكشفت لى فى المجلس الثانى.. حين فرّوا من الميدان مخافة أن ينكشف ما هم عليه من جهل وصغار فهم يأكلون السحت.. ويجعلون رزقهم أنهم يكذبون.. ألا ساء ما يزرون.

قال صاحباه: أو لم يكف ما لقيناه من تطلعك إلى دعوة الناس للرشاد، وأنت لم تفرغ بعد من تثبيت أقدامك .. ثم نصحاه بالتوفر على ما بقى من مراحل للحصول على الإجازة العلمية ومن ثم الوظيفة التى يقيم بها أوده.. وقد كان.. فانقطع لهذا الأمر بضعة أشهر حتى تخرج طبيبا يمارس المهنة.. ونظر من حوله باحثا عن مجتمع يأنس به أو يأنس إليه.. فوجد النصارى حاقدين ووجد من المسلمين ترقبا فى حذر فرغب فى البعد عن الناس، طلباً للهدوء ولمزيد من الإطلاع، ولم يجد خيرا من خدمة السجون.. وبدأ حياته العملية عام ١٩٠٥ طبيبا لبعض السجون بمديرية الجيزة، وهكذا تهيأ له البعد عن الناس جميعاً وإن كان على مقربة من القاهرة.. حيث نشأ وحيث مرت به أحداث لا يمحوها مر الزمان.. كان يقضى ساعات العمل بمكتبه وله دار ملحقة بالمبنى ذاته ومن حولها حديقة مناسبة، فكان يقضى أوقات الفراغ بين القراءة حينا وخدمة هذه الرقعة الصغيرة من الأرض.. وخيل إليه أنها أرحب من القاهرة وما حولها.. وجد فى

سكون الليل واقفار الجو المحيط بالسجن من علامات الحياة.. سكناً لم يجده فى المدينة الصاخبة.. ثم عرف واعظ السجن وخالط المسجونين كإنسان يحس بآلام غيره من الناس..

قال محدثي: ولعله كان فى وحشة شديدة فى دخيلة نفسه، ولذلك غلب عليه العطف على من ضاق بهم المجتمع وضاقوا به.. وتحولت الوظيفة فى تقديره من معاش يطلبه إلى رياضة نفسية وتأمل.. ومضى عام وبعض عام.. وهو لا يرى صاحبيه إلا نادراً.. بل لا يرى الناس إلا فى حدود البيئة الموحشة التى احتوت ليله ونهاره فى نظام رتيب.

خطبة ثم فسخ مزعج :

وفى غضون هذا العام الأول أشار إلى زميله صدقى أنه يريد أن يستقر فى دار وأسرة.. فإن رزقه الله بزوجة صالحة فإن حديقة السجن تكون فى تقديره من جنات الحياة قال صدقى: أما هذا فمطلب عسير.. ذلك أن طالب الزواج لم يتواضع فى طلبه.. بل غالى كثيراً فيما أملاه من شروط.. وصاحبه يقلب كفيه عجباً من أطماع ولد آدم.. وصارحه بأن شروطه هذه لا تقبل من مسلم أصيل.. فكيف به هو والناس لا تعرف من أمره إلا ما تتسامع به المجالس.. وإذ تكرر الطلب وتكرر التنبيه.. لم يجد طالب الزواج بداً من تفويض صاحبه وله أن يغفل بعض الشروط.. ذلك أن لهذا الصاحب زوجة.. وهى التى تتصل ببعض الأسر، وتراعى ما هو مفضل من الأوصاف.. وأخيراً تمت الخطبة غيابياً فى مجلس ضم الرجال.. واستند الخاطب إلى أوصاف مطربة حدثه بها زميله صدقى نقلا عن زوجته.. وتحدد موعد للعقد ومن بعده يكون الزفاف.. وإذا بحادث يقع.. وكانت له أبعد الآثار فى حياة طبيبنا الشاب.

كان الدكتور عبده إبراهيم فى زيارة زميله الدكتور صدقى، ذات يوم، بعد الخطبة بزمن قصير.. وقد جلسا فى منظرة الضيوف التى احتلها زمنا كما رأينا.. وإذا بانقلاب مفاجئ فى هذه الحى الهادئ الساكن.. وإذا باستغاثات تشق عنان السماء.. فما الخبر؟ شاب ألقى بنفسه من النافذة قاصداً الانتحار لأنه رسب فى الامتحان.. ولم يكن أولى من الطبيبين بتقدم الجموع التى زحمت المكان فقاما بالإسعاف وصاحبا الفتى المنتحر..

وقد أخطأه الموت لأن النافذة لم تكن على ارتفاع كبير.. وكان من حوله نساء يندبن ويبكين رغم توكيد الطبيبين بأنه لا خطر على حياة المصاب.. وفي غمرة هذه الفوضى المفاجئة همس صدقي في أذن زميله.. أن أنظر إلى يمينك بهذه شقيقة المصاب وهي خطيبتك.. فنظر.. وبعد قليل انتهت مهزلة الشاب المنتحر وعاد الحي إلى سكونه.. إلا أن عبده إبراهيم.. عادت إليه همومه أشد مما كانت في أي وقت مضى.. قال لزميله صدقي: أفكنت تعلم من أمر هذه الخطيبة ما أخفيته عني؟ أم خدعتك زوجك وجئت تخدعني؟.. وقامت بين الصديقين مناقشة حادة لم يقتصد فيها طالب الزواج.. قال هذه عانس شوهاء.. هذه مارد يفوقني طولا وعرضا، هذه داكنة اللون وقد قلتم إنها خمرية وكان طلبي البياض.. وهذه.. وهذه.. فما كان من الدكتور صدقي إلا أن ضاق بصاحبه.. وافترقا على خلاف.

عاد طبيب السحن إلى صاحبه بعد يوم (على غير عادته) وأنذره بأن هذه الخطبة مفسوخة.. بل هي فاسدة من أساسها لأنه خدع بما نقل إليه من أوصاف.. واشتد الخلاف .. فقد عز على صدقي أن يكلف زوجه بنقل الخبر.. واستحال عليه أن يقنع صاحبه بقبول ما جرت به المقادير.. ووجد أن مصاحبته لزميله هذا لا تعود عليه إلا بالمتاعب.. وانصرف عبده إبراهيم غاضبًا ومعلنًا سخطه على ما كان من غش وإيهام، وأعلن أنه لن يقترب من هذه الدار التي دخلها خاطباً.. وأسقط في يد زميله.. ومرت الأيام .. الخاطب لا يظهر واقترب موعد العقد.. ولم يجد صدقي بداً من تكليف زوجته بنقل الخبر على أيسر صورة مستطاعة .. قالت إن الطبيب الخاطب نقل فجأة إلى الحدود وقد ذهب إلى السودان.. ويبدو أن ظروفه هذه تجعله غير صالح.. ثم إنه سافر بالفعل وألغى موعد العقد.

قامت الدنيا من خلال صدقي، في الحي الذي يعيش فيه.. ومن قبله عاشت أسرته عشرات السنين.. وما عرف عنه قبل هذا الحادث أن يكون عابثًا بسمعة جيرانه.. فقد أشاعت أسرة الخطيبة أنها اكتشفت في الخاطب ما لا تحب أن تتكلم عنه.. فهو كافر متلاعب وله زوجة من دينه الأصلي.. ولذلك رفض وطرد.. وما كان للدكتور صدقي أن يتعرض لأسرة كريمة على نحو ما فعل.. وما كان له أن يبعث بزوجته خاطبة لمن هذه صفاته.. ولا يستطيع أن يدعي الجهل بحقيقة الأمر لأن الخاطب زميله.. ولأن

صدقى قدمه لرجال الأسرة على أنه من أصحابه المقربين نحو عشر سنوات، ولذلك يعرفه ويضمنه.. فكيف يتضح بعد ذلك أنه كان مخادعا ؟! وما أكثر ما قيل حتى اضطر الطبيبان إلى التوارى عن الناس طويلا، والشائعات لا تهدأ .. وأسرة الخطيبة لا تترفق فى الانتقام.. وفى هذا العهد المبكر من القرن العشرين (أوائل عام ١٩٠٦) كانت الأسرة المسلمة شديدة المحافظة وكان الرأى المحلى فى الأحياء القديمة شديد الحساسية وقاسيًا فى ملاحقة المنحرف.. ولذلك أصاب الصديقين جميعا من هذا العدول عن عقد الزواج ضرر بالغ فى السمعة واحترام الأهل والجيران.. وتناهت الأخبار إلى شيوخ الحى وأفاضل السكان.. وهم النقباء كأمر واقع وأن لم يلتمسوا من الناس أصواتهم على نحو ما استجد من الربع الثانى للقرن العشرين.

تدخل شيوخ الحَىّ :

كان الشيخ عبدالحميد مصطفى أحد الرجال البارزين .. درس العلم فى الأزهر الشريف حتى خيف على بصره فتوقف بأمر الأطباء.. واشتغل بمقاولات المبانى ولقى فى عمله توفيقًا وكان كريمًا فى حياته الخاصة وفى معاملاته وصلاته بالناس.. ولذلك انتهت إليه الأنباء على أنها عبث صغير من شباب غير مسئول يستهين بكرامة أسرة محافظة ويعرض سمعة فتاة شريفة للقيل والقال.. بما أقدم عليه هذا الشاب من معلومات كاذبة أدت إلى فشل الزواج.. ولئن كان فسخ الخطبة قد جاء من جانب العروس وأهلها إلا أن الضرر وقع على أية حالة.. ويجب أن يحاسب هذان المستهتران بأقدار الكرام من أهل الحى.. وفى كل يوم رواية وفى كل دار ثرثرة لا تريد أن تنتهى.. حتى اقتنع الشيخ عبد الحميد بأنه مطالب بأن يتخذ إجراء ما لتهدئة الخواطر الثائرة.. فأرسل فى طلب الدكتور صدقى وكان بمنزلة الابن لأنه زميل لبعض أبناء الشيخ عبد الحميد ولوجود علاقات وثيقة بين الأسرتين من جيل سابق.. ولكن صدقى غير موجود نهاراً وغير موجود ليلاً.. لأن مقابلة كبار رجال الأسرة أو الحى.. كانت لها رهبة فى نفوس الشباب عندئذ.. وكان صدقى يعلم الحقيقة كاملة ولكن لا يستطيع أن ينفى الحظ السيء فى كل ما حدث.. وأنه كان الواسطة.. وإذ أمعن الدكتور صدقى فى تجنب مقابلة الشيخ.. ازداد هذا تمسكًا بطلبه.. وداخلته الشكوك فى تصرف هذا الولد الذى كان يظنه صالحًا.. حتى وقع

الدكتور صدقى بين يدى الشيخ وهو فى الطريق العام... ولم يبق مفر من المواجهة والحساب.

حوار صعب:

قال الشيخ: كيف فعلت هذا يا صدقى وأنت الآن طبيب يؤتمن على خصائص الناس.. وقد يعرف من أسرار البيوت ما لا يعرفه غيره بحكم ممارسة المهنة.. أية بداهة هذه؟ وفى أهلك وعشيرتك؟؟ لبئس ما صنعت.. وصبر الطبيب الناشىء فى الحى على قسوة أحد شيوخه.. إذ كانت له فى نفسه منزلة الوالد.. صبر حتى استراح الشيخ إلى أنه قد أثخنه بالجراح جزاء فعلته التى ألقت الجيرة كلها فى أتون من الغضب.

قال الشيخ: ألا تجيب؟... فرفع رأسه وصوته وقال: هل تأذن لى يا عماه بأن أتكلم؟؟ قال الشيخ: على أن تصدقنى الحديث.. وإنى أحذرك من محاولة خداعى كما فعلت مع أسرة فلان، وما عاد الأمر سراً!!

قال صدقى: بل أصدقك القول يا عم.. فما كنت كاذبًا ولا مخادعًا.. وستجد بنفسك أننى لم أتغير عمن عرفت وكل الذى أرجوه أن تمنحنى الصبر حتى أتم حديثى.. ثم أحكم على وعلى زميلى.. وحكمك العدل..

ثم إن صدقى سرد التاريخ كله بإيجاز.. حتى إذا وصل إلى أحداث الخطبة والعدول.. لم يتردد فى ذلك التفصيلات.. واعترف بأنه تحت إلحاح صديقه وحاجته إلى الاستقرار وفى مواجهة الصعاب العملية التى يلاقيها إن هو بحث له عن فتاة وأخرى حتى يصادف من يرتاح إليها.. فقد سمح لنفسه إن يهون من الفروق الكبيرة بين أوصاف الخطيبة وبين ما تخيله طالب الزواج.. وما قصد من تصرفه هذا إلا أن يجد حلاً لمعضلة عسيرة.. إذ الحق أنه من العسير أن أجد أسرة تحترم نفسها وتقبل مصاهرته.. فلا هو من بيت ذى حسب قديم ولا هو من ملتنا ولا هو غنى.. ومع ذلك يضع الشروط ولا يقتصد.. ولا يجد من يعاونه فى إنجاز هذا الأمر الجوهرى إلا خاصة أصدقائه.. ولا أعرف إلا نفسى وصاحبى برادة..

قال صدقى: هذه هى جملة القول يا عم.. وما كتمت عنكم شيئًا.. ونحن جميعًا (ثلاثتنا) نجلُّك ونحترمك ونؤكد لك أننا ما اجتمعنا إلا على الخير.. ولا قصدنا إيذاء أحد من الناس فضلاً عن فتاة من حقها أن تجد رجلاً جديراً بها.. وأن زميلى عبده كفء لها وزيادة.. ولكنه ضاق بها إذ رآها.. كما حدثتك.. وقامت بينى وبينه مشاحنات لم يتسامع بها الناس.. وإنما تسامع الناس بما أطلقته أسرة الفتاة من شائعات.. ونحن نلتزم الصمت.. لعل فى الهجوم علينا ما يهدئ من الغضب ويمهد لنسيان هذه القصة كلها.. فقد غلب عليها سوء الحظ وحسب.

قال الشيخ: ولكن لماذا تيأس من محاولة اختيار فتاة تصلح له وتقف عند من وصفت وهى لا تشبه اختيار صاحبك كما تقول؟

قال صدقى: إنه اليأس من أن تقبل أية أسرة كريمة مصاهرة زميلى!! ولو كان فى أسرتى فتاة تنطبق عليها الصفات التى يريدها.. لما وجدت الطريق معبداً لإنجاح مسعاه.. رغم وساطتى..

سبحان مقلب القلوب:

قال الشيخ: ولكنك تذكره فى حديثك معى.. وكأنما تعدّه ملكًا أو وليًا من أولياء الله.. فكيف تعجز عن تقديمه للناس.. وهذا تقديرك له؟

قال صدقى: إن تقديرى له يستند إلى صحبة طويلة.. قرابة عشرة أعوام فى كل حال يكون عليها الشباب من إقبال على الدرس.. أو انصراف إلى اللهو البرىء.. وكنا نقضى معظم ساعات النهار والليل فى الاستذكار وفى البحث من الدراسة الثانوية إلى الطب إلى وقتنا هذا.. ولئن كان صديقنا برّادة على الدرب ذاته إلا أن زمالة الطب ربطت بيننا نحن الاثنين فوق ما كانت الحال ونحن صحاب ثلاثة.. ولذلك من العسير أن أطلب من الناس أو أن أتوقع منهم تقديراً كتقديرى القائم على معرفة حقيقة أمره فى مدى طويل..

سكت الشيخ قليلاً ثم عاد يتساءل: ما اسمه الآن؟ قال صدقى: «عبده إبراهيم». قال الشيخ: وقبل أن يشهر إسلامه؟ أجاب صدقى: «عبده إبراهيم». فتوقف الشيخ

لحظة واستأنف قائلاً: عجيب.. عجيب أمر صاحبك هذا، أفلا يتخذ اسمًا يدل على فضل الله عليه أن هداه؟

قال صدقى: هذه فعلاً واحدة من نظراته الخاصة إلى ما هو فيه من شأن جد خطير.. ولقد نصحه بعض المحبين له، بأن يتخذ اسمًا علمًا شاهداً على إسلامه.. فاعتذر بأن الإيمان الحق إنما يستقر فى القلوب وتصدقه الأعمال.. وما هو لافتات كعناوين الكتب والمتاجر.. وما هو بشعارات عالية الصوت جوفاء.. وإنى لأجل الهداية التى أنعم بها ربى علىّ.. أن أنزل بها إلى مستوى شبيه بالدعاية وطلب الشهرة.. فى أمر لا يغنى فيه إلا الصدق الصدوق..

توقف الشيخ قليلاً.. ثم قال: يا صديقى.. آتنى بصديقك هذا من فورك.. وتعال معه.. قالها وقد سرى عنه ما كان فيه من غضب وما بدأ به من تهديد ووعيد.. واطمأنت نفس صدقى إلى أنه كسب سنداً وأنه لا يسهل بعد اليوم أن يهاجمه المهاجمون..

كانت غاية الفرحة التى غمرت الطبيب الشاب صدقى من هذه المقابلة.. أنه استطاع أن يقنع الشيخ ببراءته وبراءة صاحبه.. وما درى أن هذا اللقاء قد كان نقطة تحول كبرى فى حياة صاحبه.

جاء الموعد والتقى الطبيبان بالشيخ.. وكان تعارف أعقبته مقابلات.. وفيها سأل الشيخ والدكتور عبده إبراهيم يجيب.. ثم تتشعب الأبحاث ويفيض الطبيب الذى آمن فى سرد بعض الأدلة التى ملكت عليه كل المدارك.. وبخاصة حين تقدم فى دراسة الطب ورأى فى جسم الإنسان آيات على قدرة الخالق جل وعلا.

ثم رأى صدقى أنه من الخير ألا يطمع كثيراً فى تلطف الشيخ وهو فى حكم والده.. وبحسبه هو وصاحبه أنهما وجدا فيه رجلاً فاضلاً ومنصفًا أسكت المتخرصين ومروجى الشائعات.

ومضى بعض الوقت.. وكل فى مشاغله.. حتى أرسل الشيخ إلى ولده صدقى يدعوه.. ويسأله: لماذا تباعد اللقاء بيننا؟ قال مراعاة لحقكم علينا.. فحسبنا ما أخذنا

من وقتكم وما لقيناه من عطف.. قال الشيخ: ما أحسنت التقدير.. إننى آنس إلى حديث صاحبك لأنه على سنة الأولين.. والحق أنه كسب إعجابى واحترامى.. وكان مثل هذا القول مفاجأة لصدقى.. وما وسعه إلا أن يشكر وأن يصل ما انقطع من الزيارات.

ذهب صدقى إلى عبده.. وقال له: يا زميلى إننى لا أصدق ما أرى وأسمع.. إننى فى حيرة ودهشة.. ولكن لعل الله يريد أن يحدث بعد ذلك أمراً!! قال صاحبه: ما وراءك؟ قال صدقى: إنه الشيخ يا عبده، إنه الشيخ.. لقد كسبت مودته وإعجابه إلى حد أنه يطلب منك ألا تنقطع عن زيارته.. ثم شرد بنظراته كأنه مأخوذ بأمر خطير.. وسكت. حتى ارتاب صاحبه فى الحال المتقلبة.. وسأله ما بالك يا صديقى.. أتراك بالغت فى وصف ما لقيته من عمنا الشيخ الفاضل؟! قال لا بل الأمر أجل فيما أظن.. والعلم عند الله.. ثم لاذ بالصمت.

وفى لقاء جديد وثان وثالث ظهر للطبيبين معًا أن العالم الجليل والوجيه فى قومه عبد الحميد مصطفى.. يحسن اللقاء ويشجع على مزيد من البحث فى قصة الإيمان عن يقين حتى بدا لصدقى أن يصارح صديقه بما يدور فى ذهنه من أيام.. فقال: أصغ إلى يا عبده.. إن هذا رجل كبير فى حينا.. وأنت رأيت بنفسك كيف يحيطك بالمودة وأنت فى مجلسه.. وقبل أن يلقاك كان ساخطًا علىّ من أجلك وكان لا يطيق أن يسمع بأنك تظهر فى هذا الحى.. كعابر سبيل.. من فرط ما نسب إلينا جميعًا.. قال عبده: وبعد.. ماذا تريد أن تقول؟

تردد صدقى بعض الوقت ثم قال: إنى أراك قادراً على كسب ثقة الشيخ ومحبته كواحد من أولاده.. ولئن وصلت إلى هذا الحد من النجاح.. فإن مشكلتك الكبرى تجد أحسن الحلول.

ضاق الدكتور عبده بهذه الإشارات البعيدة.. فقال لزميله: كم من الوقت أضعنا فى تأملاتك وفى الفروض والاحتمالات التى أراها تشغلك.. فماذا تريد أن تقول؟

قال صدقى: إن للشيخ ابنة فى سن الزواج.. وهى كالتى تخيلت أنت ووصفت.. ولئن

قدر لك أن تحافظ على مودته واحترامه لك.. على نحو ما أرى فى اجتماعاتنا الأخيرة.. فإنه لا يرفضك خاطبًا.. فيما أظن.

قال صاحبه: ما أراك إلا جننت.. أى أمل هذا الذى يراودك، على أى أساس يجوز لى أن أفاتح صديقًا فاضلاً كهذا فى أمر المصاهرة ونحن حديثو عهد بالتعارف.. ولى فى الحى تاريخ حافل.. هذا بالإضافة إلى قرب العهد بمأساة الخطبة الأولى.. لا ياصدقى.. أنا لا أفكر فى خطوة ، كهذه.. وأرجوك أن تتزن.. حتى لا تكون التجربة الثانية أقسى من الأولى.. وما زالا يقلبان الآراء حتى قررا إشراك صاحبهما القديم «برادة» ثم اتفق ثلاثتهم على أن الخطوة الأولى لا تكون من الخاطب بل من صاحبيه.. وفى حدود التعرف على مدى الاستجابة أو الفتور من ناحية اقتراح كهذا.. وكانت زيارات غاب عنها الدكتور عبده.. ثم ظهر من جديد وتقدم خاطبًا وأجيب.. وبدأت فى حياته وفى حياة الشيخ صعاب ما كانت فى الحساب.

الزَّوْجَةُ الصَّالِحَةُ:

تسامع الناس بأن القبطى الذى سخر من أسرة كذا قد أوقع الشيخ فى حبائل سحره وحصل على وعد بالمصاهرة.. وكان لرب الأسرة فى هذا العهد هيبة عالية.. ولكن زوجة الشيخ ثارت ثورة عارمة وانطلقت إلى أهلها غاضبة.. واجتمعت الأسرة بأصولها وبفروعها وألحت على الشيخ أن يراجع نفسه فيما صدر عنه من وعد بالقبول.. وبدأت الشائعات وتوافد الخاطبون ومعهم الشفعاء لإنقاذ الموقف.. أى لتعطيل هذه المصاهرة.. حتى ضاق الشيخ بما تكرر من الجرأة على مكانته من الأسرة.. فعجل بالعقد وبالزفاف جميعًا.. فى ليلة أحاط بها الغموض والترقب من جانب المستريبين من أمر هذا الطبيب الشاب.. وساعد على فتور المناسبة ومفارقتها للمألوف.. أن الزوج حضر منفرداً.. لا يصحبه من أهله أحد، على الإطلاق.. وأن والدة العروس قاطعت الحفل، وجاملها أهلها.. والشيخ مصرّ وماض فى طريقه.. وأخيراً عاد للحى هدوء مشوب بالقلق.. بعد سفر الزوجين إلى مقرهما الملحق بسجن «طرة» من أعمال مديرية الجيزة فى ذلك العهد (عام ١٩٠٦).

المَوْلُودُ الجَدِيدُ وَالعَاصِفَةُ الجَدِيدَةُ :

ومضى عام.. وإذا بالعروس تعود إلى دار أبيها.. فى مناسبة الوضع.. ورزقت بولدها الأول فى ١٩٠٧/٧/٢٧.. وفى يوم أو بعض يوم.. حضر الطبيب الوالد مهنئًا.. وأحضر معه شهادة الميلاد.. وقد أثبت فيها اسم ولده الأول «عيسى» وأقبل على زوجته يرشدها إلى ما ينبغى من احتياط.. وفى ساعات عاد إلى مقر عمله فى «طرة» وخلت الأسرة إلى هذا الموقف الجديد.. وإذا بالشيخ الذى أحب صهره.. يضرب كفًا بكف.. ويقول: واعجبا.. أليس فى الأسماء التى خلقها الرحمن اسم جدير بهذا المخلوق... إلاَّ هذا الاسم.. استغفر الله العظيم.. قالها ثلاثًا.. واعتكف فى داره لا يرى أحداً.. وأما زوجته فقد كانت تغالب دموعها.. لما تحقق من ظنها البصير بهذا الطبيب وأساليبه.. كانت تغالب دموعها حتى لا تفجع ابنتها فيما انتهت إليه حالها وما جناه عليها أبوها بغفلته وعناده. وفى اليوم السابع أضيئت الشموع ذراً للرماد فى العيون.. وتمويهًا على الأم البائسة التى ارتبطت بزوج قيل بأنه أسلم وحسن إسلامه.. وإذا به يعلن فى غير مواربة أنه مخلص لماضيه.. لا ينساه.. ولم ينقض اليوم السابع حتى أحاطت بأسرة الشيخ موجة من الهمّ.. فوق الذى تجمع من قبل.. ذلك أن جاء البشير من أسرة الظاهر يهنىء الوالدة بولدها عيسى.. ولم يكن من قبل ود ولا اتصال.. فكانت هذه التهنئة ذات معان غير خافية.. فتماسك الشيخ واصطنع الثبات اصطناعًا.. حتى كان الغد.. فخرج من الفجر.. يريد صهره فى داره قبل أن يخرج من داره إلى العمل.

قال الشيخ: ما هذا الذى فعلت يا سيدى الدكتور؟؟

لقد سكتنا على التزامك بعد اعتناق الإسلام.. نفس الاسم الذى عرفت به من قبل.. وأحسنا الظن بما سقته من حجج كانت تبدو صادقة.. ولكن.. هذه الفعلة الشنعاء، فى حالتك الخاصة!! أفلا تعلم أن اختيارك لهذا الاسم يتضمن من المعانى ما لا يخفى على أحد؟ ألم تسمع بأنباء التهانى التى بعث بها أبوك وماتنطوى عليه من سخرية بعقولنا وشماتة بمصير ابنتى البريئة.. التى جنيت عليها؟!

ظل الشيخ يهدر غاضبًا.. وكانت الدماء تندفع حمراء قانية من صدره إلى الجبين..

والطبيب يستمع هادئًا ساكنًا.. وقد أطرق برأسه حتى تمر العاصفة.. ولكن حالة الشيخ كانت تنبىء بأنه يعانى من خيبة فى الرجال قوضت ما كان فيه من اطمئنان إلى هذه الرابطة.. التى أكثر الناصحون بالحذر منها.. وكان فزعه من التطورات المحتملة يصد من بعض العواصف التى تهتاجه.. فقد قال بصريح العبارة: «وبعد، بماذا تفجعنى الأيام من ناحيتك فى الغد القريب والبعيد... بعد الذى فعلت؟» حتى إذا استنفد من الجهد ما أضناه.. توقف لاهثًا.. وقال: يا أخى ويا بنى.. ما أسأت إليك حتى تجنى على ما جنيت؟؟ وأيًا كان جوابك.. أفلم يكن من الواجب أن تستشيرنى فى أمر يمس سمعتى ومكانتى بين الناس.. إن كنت ترضاه لنفسك؟

قال الطبيب الناشىء لعمه: إن كنت قد فرغت من كل ما تحب لى أن أسمعه منك.. فسأتكلم.. وإن أردت أن تزيدنى إيلامًا فأنا بين يديك.. ما تغيرت.. فأنت صهرى وعمى وأبى.. وليس لى من الناس من هو أقرب إلىَّ منك.. وستجدنى طوع أمرك فيما تظنه صوابًا.. وسأقبل حكمك أيًا كان.. فهلا منحتنى بعض الصبر.. لعلى أحدثك بما عندى؟

كانت لهجة الطبيب هادئة.. رغم ما صبه عليه صهره من لوم وتقريع.. ورغم شناعة الصورة التى رسمها صهره.. من فزع أحاط بالأسرة وأحداث جسام توشك أن تعصف بالجميع.. فلا الطبيب ناج بفعلته هذه، ولا أصهاره سعداء بما يمكن أن ينزلوه به من انتقام لسمعتهم التى ألحق بها خزيًا ما بعده خزى.. هكذا كانت الصورة التى ارتسمت فى جو من المصارحة التى تهيأت للشيخ وقد انفرد بصهره. ومع كل هذا القتام ظل الطبيب هادئًا ثابتًا وظلت لهجته فى إطار من التوقير الواجب للشيخ وإن قسا الشيخ فى حملته، ثم قال وقد تمالك بعض زمام نفسه الثائرة:

- تكلم.. قل ما عندك.. ولا تخفى عنى شيئًا.. واعلم أنك قد ألقيتنى فى الجحيم.. جزاء صنيعى معك.. فابتسم الطبيب وهو يقول: كأنك لا تريدنى يا عم أن أتكلم!!

قال: بل إنى مصغ إليك.. والله يعيننى على ما أنا فيه..

قال الطبيب الناشىء: إن بينى وبين ربى عهداً لا يعلمه إلا هو.. وإنى أسير على الدرب لا أحيد.. وما وجدت من ربى إلا الفضل يتلوه الفضل.. وفى ظنى (والعلم عند الله جل شأنه) أن هذا الحادث الذى أفزعكم حتى آذيتمونى هو أكبر نعمة منَّ الله بها علىَّ بعد نعمة الإسلام.

تمتم الشيخ فى صوت حزين: أكبر نعمة؟ اللهم إنك أنت السلام ومنك السلام.. اللهم أفرغ علىَّ صبراً من عندك.. فلا حول لى ولا قوة بهذا البلاء.

عاد الطبيب يقول: نعم.. قد يكون هذا التتابع فى الأحداث بشيراً لى بأن الله قد سمع منى الدعاء واستجاب.. له الحمد فى الأولى والآخر.

.. ثم استطرد يقول: إننى يا سيدى حين تمسكت بالاسم الذى اختاره أبى وهو كما تعرف «عبده» تعلق رجائى بأن يمتد بى الأجل.. حتى أكون كفئًا لزوجة صالحة من بيت طيب.. وأن أرزق منها مولوداً يكون أول أبنائى وأن أدعوه «عيسى» وقد تحقق هذا كله بفضل من الله ونعمة.

قاطعه الشيخ محتداً: وأى فضل تريد أن تراه فى كل ما ذكرت؟

فارتفع صوت الطبيب فيما يشبه الغضب.. وقال يا سيدى صبراً.. ما أتممت بعد!!! ثم استطرد يقول.. إلى هنا ينصرف الحديث إلى أمور وقعت.. وكلنا يراها ماثلة فى بساطة ويسر بحيث إنها لا تستوقف النظر.. ولكنى رأيتها من قبل آمالاً ترتفع إليها يداى بالدعاء.. فى عديد من الليالى الحالكة التى أحاطت بى لبضع سنوات مضت.. وأن الله الذى أنعم علىّ بهذا كله.. لأكرم من أن يرد ما بقى لى من رجاء..

قال الشيخ: وما هذا الرجاء؟

قال الطبيب: إنه رجاء إن شئت وإنه عهد وميثاق إذا أمعنا النظر.. لقد عاهدت ربى إن رزقنى بهذا الصبى لأحرصن على تنشئته نشأة صالحة ولأدعوَنّ له بطول العمر.. وبالتوفيق إلى ما فيه رضاء الله.. وبأن يكون له فى حياته ومن بعد حياته أحسن الذكر على ألسنة العباد..

ضاق الشيخ بأحلام هذا الولد الحدث.. وقاطعه.. قائلاً: وأى والد لا يرجو لولده مثل



ذلك؟ وأية صلة بين هذا الرجاء وذلك الميثاق وبين اختيار اسم المسيح عيسى ابن مريم ليكون علمًا على ولدك الذى تريد له ما تقول؟؟

عيسى عبده لا ابنه :

قال يا عم.. إننى لا أحصى ثناءً على ربى ولا أقدر على حمده كفاء ما أنعم به علىّ.. ولذلك جعلت من وجود هذا الولد.. شهادة تنبض بالحياة.. وما بقيت له الحياة.. بأن «عيسى» «عبده» وما هو بولده.. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.. فكلما ذكره الذاكرون غائبًا أو حاضراً.. حيًا أو ميتًا.. كان ذكرهم هذه شهادة منى بين يدى الله جلّ وعلا.. بأن «عيسى» «عبده».. ولقد استجاب ربى لأول الدعاء وها هو المخلوق الصغير حقيقة ماثلة بين يدى. وشهادة منى بما آمنت به.. وأن الذى أسبغ علىّ هذه النعمة الكبرى.. لقادر على أن يمد فى أجله وأن يهديه سواء السبيل حتى يكون أهلاً لحمل هذه الشهادة.. التى فرقت فى حياتى الخاصة بين ضلال كنت فيه وهداية أرجو أن تزيد..

ظل الشيخ صامتًا مطرقًا.. وكأنما يقلّب النظر فى قول ما مرّ بخاطره أنه سيسمع شيئًا منه.. فاستطرد الطبيب حديثه بلهجة المطمئن الواثق.... قال: يا عم.. إن الغيب من ضنائن الرحمن وأنا لا ندرى أيكون هذا الصبى صالحًا أم غير صالح.. ولا ندرى هل كتب له من العمر ما يطول، أم كانت الأخرى.. ولكنى أعلم من الله أنه ما خذلنى وما أسلمنى لأمر لا أحبه.. مذ سرى فى أطرافى هذه الشوق إلى الوضوء.. وأنا بعد صبى لا أميز بين عقيدة وأخرى.. وأن قلبى يحدّثنى بأن الله قد استجاب لكل ما دعوت.. وسيكون من حياة هذ الصبى وذكره بين الناس نور يفيض علىّ فى قبرى.. ويقضى عنى بعض حق الله علىّ.. حق الحمد والثناء عليه.. فى حياتى ومن بهدا الأجيال تجىء.. وفى كل منها يتكاثر القول الحق.. بأن «عيسى» «عبده» فهذا ما آمنتُ به وصدّقتُ.. هذا ما أريد له أن يجرى على ألسنة الخلق من بعدى.. ما بقى لهذا الصبى ولذريته ذكر بين الناس(١).. قال هذا وسكت.. لعل الشيخ يخرج من صمته.. ولكنه كان سابحًا فى

(١) لقد حقق الله تعالى أمل هذا الوالد، ورجاءه فيه، إذ صار «عيسى عبده» من أنشط دعاة الإسلام وكان له أعظم الآثار فى الدعوة إلى إبراز علم (الاقتصاد الإسلامى)، وقد انتهى إلى العمل أستاذاً بالمعهد العالى للدعوة الإسلامية بالرياض، وتوفى بها سنة ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠م) وأكرمه الله فدفن بالمدينة المنورة.

ملكوت الله.. فعاد الطبيب يقول: ثم إنى دعوتُ الله أن يرزقنى ولداً ثانيًا.. ولا حرج على فضل الله.. ولئن استجاب بمنه وكرمه فسيكون ولدى الثانى «محمداً».

خرج الشيخ من صمته فجأة وهو يكرّر مقالة صهره.. ثم حمد الله وأثنى عليه، وصلى على المبعوث رحمة للعالمين.. وكأنما سرى عنه بما سمع آخراً.. فتبدلت حاله من الهم والقلق.. إلى كثير من الرجاء أن تكون أحداث الأيام الأخيرة وهمًا تجسم وتفاقم فى جو من القيل والقال... ولكنه ظلّ صامتًا.. وعاد إلى أطراقه.. فقال الطبيب الشاب.. يا عم: إذا فرغت من الشهادة التى أرجو أن تكون شفيعى عند الواحد الأحد.. على نحو ما عاهدت عليه ربى.. فأى الأسماء بعد ذلك يكون أحق بالاختيار. فى حالتى هذه..؟ أوليس من تمام الإيمان.. شهادة أنه لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله.. وإنى لأرجو الله العلى القدير أن يكون حفيدك الثانى «محمد عبده» ثم ضحك قائلاً.. إن زوجتى الودود الولود... وأن غداً لناظره قريب.. ولئن كانت آمالى فيما دعوت به لولدى الأول رهينة بحجب الغيب فى عشرات السنين.. أو تزيد.. فإن تسمية الولد الثانى.. احتمال إن شاء الله قريب...

قام الشيخ عن المجلس ليخلو إلى نفسه طويلاً.. بين صلاة وتسبيح.. وقال لصهره قم لعملك يرعاك الله.. وسأراك إذا انصرفت.

وفى طريق الشيخ إلى القطار.. أمضى لحظات مع صهره فى مكتبه.. وحدّثه هامسًا.. قال: يا بنى إنى عائد إلى مصر.. والله يعلم ما أنا فيه... إنك تعيش فى جوّ من الصفاء لا تعيش فيه كثرة الناس، وإن أعمالك وأقوالك لا يفهمها إلا من حاط دين الله من جميع جوانبه.. وما أقلهم فى زماننا.. ثم سكت لحظة.. وعاد يقول: لقد أتعبتنى مذ عرفتك، ولا أخالك إلا هكذا ما حييت.. عفا الله عنك. ثم شدّ على يده مودعًا.. وقال: على أننى لا أضيق بيوم التقينا فيه.. ولا أتمنى غير الذى جرت به المقادير.. ثم انصرف..

عاد الشيخ إلى داره وأقبل على ابنته وحفيده.. إقبالاً غير مرتقب وطفق يبالغ فى

الإكرام والتدليل حتى ظنت الأسرة أنه يعمد إلى تغطية ما كان من هزة عنيفة بالأمس القريب.. حين وصلت التهانى من حى الظاهر.. ظنت الأسرة أن الشيخ يخاف على ابنته، ويريد أن يوهمها بأنه راض.. ولكن صهره الطبيب جاء بعد ذلك زائراً.. فأحاطه بالرعاية مرة بعد أخرى.. حتى جاء اليوم الذى اصطحب فيه أسرته.. وإذا بها قد غدت.. حين قرر الشيخ أن تكون «سيدة» (وهى الجارية المفضلة فى الدار) عضوا فى أسرة الطبيب من يومها هذا لا تفارق الصغير ولا يفارقها.. ولا تكلف بعمل إلا رعايته.. وخلع عليها الشيخ خلعة فى هذه المناسبة.. جرت هذه الأحداث سراعا.. وأسرة الشيخ لا تدرى كيف تبدلت الحال.. ومرت الأيام والشهور.. ولا جديد حتى نسيت العاصفة التى هبت مع قدوم الولد الأول.. وفى يناير ١٩٠٩ أقام الشيخ حفلا جامعًا للأسرة وللأصدقاء تكريمًا لحفيده «محمد».

قال محدثى أنه سمع من الخواجة إبراهيم عبد الملاك.. إنه ما رأى فى حياته يومًا أشد هولا عليه من يوم الأحد الذى أعلن فيه رجال الكنيسة طرد ولده الأكبر من رحمة يسوع.. وبقيت صورته حاضرة أمام ناظريه.. وهو يهرول مسرعا إلى خارج الدار والهيئة المقدسة تعلن أنه مفقود مفقود.. قال الخواجة إبراهيم «إن هذا اليوم كان أكثر الأيام حلكة كسواد الليل البهيم.. وهذه الصورة كانت لا تفارقنى لأنها أتعس ما رأيت.. حتى جاءنى الخبر بأن ولدى «عبده» الطبيب الناجح.. يدعو ولده الثانى محمدا.. فكانت القاضية.. على ما بقى من أمل أو رجاء».

ومضت شهور فيما يشبه الاستقرار.. سكتت أسرة الشيخ عن نشر مخاوفها وإشاعة الشكوك.. ويئست أسرة الخواجة إبراهيم من السراب الذى بدا حين سمعوا بمولد الابن الأول.. وانصرف كل إلى شأنه الخاص بعد طول اهتمام بالطبيب الشاب وقصته.. حتى كان صيف هذا العام (١٩٠٩) والأسرة الصغيرة فى حياتها الوادعة.. على مقربة من سجن طرة.. والوقت بعد الظهيرة.. والحر قائظ.. والطبيب أنهى عمله وعاد إلى داره.. وإذا بواحد من مساعديه يصعد الدرج مسرعا ويقترب منه.. ليلقى إليه كلاما بصوت منخفض..

الزِّيَارَةُ المفَاجِئَةُ :

بدا على وجه الطبيب أنه لا يكاد يصدق.. ثم رفع صوته متسائلا: أين هو؟؟ قال إنه بباب الدار فنزل من فوره وعاد ومعه ضيف من القاهرة..

كان هذا الضيف هو الخواجة إبراهيم والد الطبيب.. وصل فجأة وبعد قطيعة تامة ومتصلة.. مذ كان ولده فى فترة الامتياز بقصر العينى.. فانسحبت الزوجة والمربية والطفلان إلى داخل الدار.. وبقى الطبيب ووالده لا يجدان ما يقال.. بعد أن تبادلا ما هو مألوف من تحية ومجاملة فى اقتضاب.

قال الطبيب: كيف حال أمى وإخوتى.. وكيف حالك يا أبى؟

وإذ هم الوالد بالجواب.. احتبست الألفاظ فى صدره واعتمد رأسه بين يديه لحظة ثم انهارت بقية المقاومة التى كان يعانيها من وقت مضى.. ثم انفجر كالثاكلات.. ولم يحاول ولده أن يمنعه بل تركه برهة يفرج فيها من همومه.. وأخلى له المكان..

أقبل الطبيب على أبيه حين عاوده الهدوء.. وقال ماذا بك يا أبى.. وكيف أمى وإخوتى؟

قال الوالد إنهم بخير.. نحمد الرب.. ولكن أباك على حافة الهاوية!!

قال الطبيب: هون عليك وأشركنى فيما يؤودك حمله.. لعلى أكون فى عونك..

قال الوالد: لهذا جئت.. ولا أخفى عنك أننى ما سعيت إليك إلا وقد انسدت الدنيا كلها فى وجهى.. وكادت الفضيحة أن تحطم حياتى.. ثم سكت لحظة عاد بعدها يقول وقد تهدج صوته من جديد.. يا عبده: إن البيت الذى ولدت فيه ونشأت حتى أتممت معظم دراسة الطب.. هذا البيت الذى يأوينا ويتسع لأسرتنا كلها.. سيباع بأبخس الأثمان أمام دائرة البيوع بالمحكمة المختلطة وفاء لدين استحق للبنك.. كان الدين صغيرا ولكن «الفوايظ»[1] ومصاريف التقاضى ضاعفته.. والأمر لله. ظل الطبيب ساكنًا يتأمل هذا الحديث المفاجئ.. وعاد والده يقول: وأختك يا عبده.. أختك «ماريجوه» ابنتى الكبرى.. سيكون أكليلها بعد أسبوع واحد.. ولا أعلم كيف أوارى فضيحتى المالية وطردى من البيت.. عن أصهارى الذين يحسنون بى الظن.. وأى مصير سيكون مصير شقيقاتك الأخريات إذا خابت الأولى لإفلاسى.. وإذ ذكر الرجل ابنته الكبرى وفرحتها المهددة دون أن تدرى.. وإذ ذكر بعدها بقية البنات والأولاد.. وما هم معرضون له جميعا من اضطرار لكراء المساكن واحدا بعد الآخر.. على غير ما هو مألوف

(١) يعنى الفوائد الربوية، والعامة فى مصر ينطقونها هكذا: (الفوايظ) تغليظا لحرمتها وتحقيرا لها.

عندهم وعند آبائهم لأجيال مضت.. أظلمت الدنيا في وجه الرجل وخانته قواه.. وعاد يبكي وينتحب.. حتى رجاه ولده أن يتجلد حتى يتم الحديث.. وسأله كم تبلغ القيمة؟

قال الوالد ثمانمائة جنيه.. والبيت يساوى أضعاف هذه القيمة ولكن جلسات البيع يسودها جو من المناورات والاحتكار البشع.. وإن موظفى البنك أنفسهم يحيطون مثل هذه البيوع بإجراءات جهنمية.. تكفل لهم توجيه البيوع.. على هواهم..

قال الطبيب.. إن هذا عجيب!! أوليست المحاكم تقوم من أجل الحق والعدل.. فضحك الوالد فى مرارة.. قال: يا بنى إنك تعيش فى برجك العاجى .. بعيدا عما يدور فى الأسواق من ظلم وفساد.. إن الدَّين الصغير يكفى للإطاحة بثروة كبيرة.. خاصة إذا وصل الأمر إلى دائرة البيوع، حيث يدفع المبلغ المحكوم به كاملا، نقداً وعداً فى الجلسة.. العلنية.. ومن حول هذه الجلسة الثابتة المواعيد زبانية عتاة.. يتسمعون الأخبار ويتعرفون على كل واحد للمزاد.. حتى ينسحب أو يخضع لتنظيم جائر يحصر البيوع فى عدد من المحترفين.. وهؤلاء بطول الممارسة.. كونوا ثروات كبيرة وأموالهم الحاضرة فى جيوبهم تكفى فى كل جلسة.. لتوجيه البيوع لصالحهم.. وكما ذكرت لك.. إنهم يتصلون بموظفى البنوك ويعلمون من أسرار الناس ما ينتفعون به فى الإجهاز على من يقع فى أيديهم.. فى أنسب الأوقات..

قال الطبيب: لماذا لا تدفع جانبًا من الدين ثم تتدبر فى أمر التسوية الشاملة.. فى فسحة من الوقت..؟ وكأنما شعر الوالد أن ولده لا يريد أن يمد يد المساعدة.. فقال بشىء من نفاد الصبر: يا بنى يا عبده.. قلت لك إن هذا كله قد فات أوانه.. إننى أواجه حكما بنزع الملكية وفاء لدين مقداره كذا.. وإن قلم الكتاب يحصى الأصل (والفايظ) والمصاريف.. وما من رقيب.. وإن سماسرة السوء والكسب الحرام، وسادتهم من المرابين يملكون الجلسة وكأنها عمل خاص بهم.. والقضاء لا يستطيع أن يحسم الداء الذى بدأ ينتشر فى الآونة الأخيرة.. وما هذا البيت الذى يحزننى فقده إلا شيئا تافها بين يدى هؤلاء الدهاة ولكنه مأوانا وملاذنا من قرن مضى.. ثم سكت فيما يشبه اليأس وعاد بعد لحظات يقول: عفوا يا بنى.. لقد أفسدت عليك وقت الراحة.. والجو شديد الحرارة.. ولكن عذرى واضح لك.. وبقيت كلمة أخيرة، أقولها وأنا واثق من أن جميع إخوتك يؤيدونها راضين.. يا عبده: أنت أولى من الغريب فتعال معى فى جلسة البيوع واشتر

أنت البيت قبل جلسة المزاد لقاء دفع قيمة الحكم كاملة.. فلا يضع الغريب يده على دارنا ويسيء إلى أبيك وسائر أفراد أسرتك.

أخلاق الإسلام :

قال الطبيب لأبيه: وهذا ظنك بى يا أبى؟ أن أستفيد مما أنت فيه من ضيق؟!

قال الوالد: ما قصدت شيئا من ذلك أبدا.. وإنما أقول: أنت أولى من الغريب.. ثم إنك لا تلقى بأهلك إلى الطريق العام إن قصّروا فى دفع الايجار.. ثم إن لك أسرة خاصة الآن.. ولها حق على مالك.. هذا ما قصدت فلا تزدنى ألما.. وبحسبى ما أنا فيه..

قال الطبيب.. لا عليك.. اصبر يا والدى وأذن لى بتركك برهة قصيرة.. ودخل إلى حجرته الخاصة.. ثم عاد يحمل شيئا فى يده كأكياس الصيارفة.. ودفعه إلى أبيه.. وقال هذه ثمانمائة جنيه ذهبا.. هى لك يا والدى تصرف فيها كيف تشاء.. دهش الوالد من هذا التحول من الجدال إلى الفعل الناجز.. وسأل فى تكرار: والدار، متى تحضر لاتخاذ إجراءات نقل الملكية إليك؟ قال: لا حاجة لى بها إلا أن تبقى دارك أنت.. فأنت والد الجميع ومن مركزك فى الظاهر وفى الجمالية.. تستمد الأسرة كلها تقدير الناس.. وإنه ليسرنى أن يبقى أبى محل ثقة الناس واحترامهم.

وضع الوالد صرة المال بجواره على «الكنبة» وأطرق وهو يقلب عصاه بين يديه.. ويقول فى صوت خافت تتجاوب فيه أصداء من الشعور بالخجل وبالصغار.. «ماذا فعلت بك وأنا قادر عليك؟.. وماذا فعلت بى وأنت قادر علىّ»؟ وتساقط الدمع من عينيه فى صمت ذليل.. حتى رق له قلب ولده فبكى لبكائه!!

وانصرف الخواجة إبراهيم عبد الملاك يحمل الصرة.. ونجا من ضائقة كادت تعصف به.. وعاد الطبيب إلى داره بعد فترة قصيرة قضاها فى وداع أبيه إلى أن تحرك القطار.. عاد الطبيب وهو يمنى نفسه بساعة من النوم العميق.. ولكنه أخطأ الحساب وأسرف فى الأمل!!

ثورة وغضب :

دخل الدار التى تركها من برهة قصيرة.. وقد كانت هادئة ساكنة.. فإذا بها مسرح



لأحداث تجرى سراعا.. «سيدة» المربية عاكفة على صرة ضخمة من لوازم الدار وملابس الصغار والكبار.. تنسق شيئا من فوق أشياء. وإلى جوارها صرة أخرى فرغت من شد وثاقها.. والصغيران قد وضعا فى ثياب الزينة والزيارات. والزوجة تذهب وتجىء من ركن فى الدار إلى درج يؤدى للسطح.. وهى فى غدوها ورواحها تنقل الأشياء وترفع بعضها وتضع بعضا آخر.. لا تلتفت لهذا القادم إلى داره يريد شيئا من الراحة بعدما كان بين الظهيرة وعصر ذلك اليوم من أحداث مفاجئة.

ظل الطبيب يرقب هذه الحركة الناشطة.. وسكت عن السؤال بعد أن وضح له أن أهل الدار قد صاموا عن الكلام.. وأنهم قد اعتزموا أمرا.. ظل يرقب ويرقب.. حتى رفعت المربية أصغر الولدين إلى كتفها وأمسكت بيد الأكبر.. ورفعت المربية صرة بعد أخرى.. وكان مزاج العصر فى الطبقة الوسطى أن تكون لكل دار مجموعة فاخرة أو متواضعة من الصرات.. لنقل الملابس والحاجيات الصغيرة الأحجام.. ويقال للصرة فى جميع الأوساط «بقجة» أما شنطة السفر فقد تأخر انتشارها إلى عهد طويل بعد الذى عاشته هذه الأحداث.. واستعد الركب للرحيل وتقدمت الزوجة نحو الباب وهى ثابتة على صمتها.. وفى عينيها أثر واضح لدمع تغالبه.. وجاءت المربية من خلفها.. والطبيب الذى أجهده عمل اليوم ولقاء بعده مثير.. ساكن فى ضيق وصبر.. إذ لم يكن الوقت مناسبا حتى لإعلان الغضب عليه.. وإن أبسط قواعد الرحمة تكفل له الإمهال.. حتى يستعيد من طاقاته ما تبدد.. ولكن هكذا كانت الحال عندما عاد..

تقدم الطبيب خطوة إلىّ مدخل الدار واعترض سبيل زوجته وهى توشك أن تنصرف.. فتوقفت. قال إلى أين؟؟ ولا جواب.. والصغير على كتفها والمربية تحمل الأثقال.. والزوج لا يتحول عن مدخل الدار.. وهذه حال لا يطول الصبر عليها فهبطت الأحمال والأثقال إلى أرض الصالة وتقدمت الزوجة من زوجها قائلة: لا تعترض طريقى.. قال حتى أعرف إلى أين؟ قالت إلى بيت أبى.. وهل لى بيت سواه! قال هذا بيتك وهو أحق بك وبأبنائنا.. قالت كنت واهمة كما أنت واهم الآن.. قال كيف؟ قالت إن ما بيننا قد انتهى.. فعاد يسأل: والأسباب؟ قالت ما من سبب ولا غضب.. ويكفى أن تعلم أنك مجنون.. وأنا لا أعاشر المجانين!!

لم يكن الطبيب قد سمع من زوجته الوديعة المهذبة كلامًا كهذا فى أشد الأيام التى مرت بهما.. وبدا له أنها فى حالة من الثورة النفسية لا يؤمن معها نقاش أو جدال فلجأ

إلى الحكمة.. وخلى بينها وبين مدخل الدار.. وقبع فى زاوية من «الكنبة» يرقب التطورات.

انفجرت براكين الغضب الكامن فى أعماق الزوجة وأغراها سكوته.. قالت: إنك مجنون.. تصبح وتمسى لا تذكر إلا الموت.. وأنه قريب من الآدمى ولا حديث لك إذا خلونا سوى التوصية بولديك.. فكيف أعمل بوصاياك وكيف أقوم على تنشئة ولديك إن كنت تتلف المال بهذه البساطة؟ وهو تدبير ما انقضى من عمرك فى الوظيفة وفى المهنة جميعا.. ثم سكتت تغالب دمعها حتى ملكها الغضب من جديد.. قالت: وإلى من دفعت المال؟ إلى من يحترم أصهارك ويحب ولديك؟ إلى من يؤتمن على تربيتهما من بعدك إذا وافاك الأجل صغيراً كما تقول؟ ثم أقبلت على زوجها وجلست فى مواجهته وعلا صوتها وهى تقول: لقد نظرت فى خزانتنا.. فما وجدت إلا حفنة من الدراهم.. وكل ما عندنا من مال للزمن ذهب به أبوك.. فمن أبوك هذا ؟ أوليس هو الذى طردك من الدار ليلا.. كما تقول.. وأغرى بك الكنيسة تلاحقك!! أليس هو الذى قاطعك خمس سنوات أو تزيد.. لا يعنى بشىء من أمرك إلا أن يكون شامتاً فيك أو ساخراً منك ومنا نحن الذين آويناك؟

ظلت الزوجة فى غضبتها الجامحة.. والزوج يلوذ بالصمت.. وقد شعر بأن حق الوالد قد كان مرعيا.. ولكن ما بال الحقوق الأخرى!! كانت الزوجة تصب جام غضبها وهو غارق فى تأمل الموقف من جديد.. ويسائل نفسه: تُرى هل أصبت فى كل شىء، أم فاتتنى أشياء؟؟!!

لم تجد الزوجة بدا من المضى فيما أعلنته من هجر الدار إلى بيت أبيها.. ولم تجد بدا من السكوت بعد أن أفرغت ما عندها من عبارات اللوم والتسفيه.. لما وقع فيه زوجها من تبديد مال مشترك بينه وبين عياله.. وظل الطبيب بغير حراك.. حتى انصرف الجمع الصغير وهدأت الدار.. فاتجه إلى حجرته الخاصة.. وقد بلغ منه الإجهاد.

زيارة الشيخ:

ومضى يومان.. وفى الصباح الباكر من اليوم الثالث.. إذا بصهره يدخل عليه فى

بشاشة ورضا. ومعه أسرته التى ثارت عليه وقاطعته.. وكانت الزوجة تتجنب النظر إليه وتختصر فى رد المقال.. وانسحب النساء والصغار وبقى الشيخ وصهره يتجاذبان أطراف الحديث فى هدوء يسوده كثير من الوئام.

قال الشيخ: ما عرفت على ابنتى أنها كاذبة.. وإنى لأحمد الله على ذلك حمدا كثيرا.. ولقد قصت علىّ كل ما جرى فى هذه الأيام الأخيرة.. وكل الذى وجهته إليك من أقوال كما وصفت تصرفك معها.. ورأت بعد أن سكت عنها الغضب أنها أخطأت.. من الألف إلى الياء..

ضحك الطبيب الشاب.. وقال ما أظنها جرأت على أن تنقل إليك ما ألقت به فى وجهى من قصائد المدح والثناء!! قال الشيخ يجوز أنها اقتصرت فى هذا الأمر.. حياء مما صنعت ولكن القدر الذى اعترفت به كان كافيا لإدانتها والحكم ببراءتك.. وما بك من حاجة إلى إحصاء المزيد من الحيثيات.. ثم أن الشيخ ترك هذا التبسط فى القول ونقل الحديث إلى أمر الموازنة بين واجبات الزوج نحو أسرته الصغيرة الناشئة وما يواجهها من أدوار فى الحياة تتطلب الحرص والحذر.. هذا من ناحية.. ومن ناحية أخرى واجباته نحو أهله بوجه عام وأبويه بوجه خاص..

وكأنما كان يمهد لابداء رأيه فيما وقع على ابنته وولديها من غبن واضح.. ثم استأنف الحديث بعبارة أكثر صراحة.. قال الشيخ: وفى حالتك يا دكتور عبده.. أنت أدرى الناس بما حدث.. ثم إن والدك هذا قاطعك سنوات.. ولم يظهر فجأة إلا ليستدر عطفك عليه وهو فى محنة تمس البيت كله!! وبأى حق يطلب منك إنقاذ بيته ومستقبل ابنته وقد فرق بينك وبينهم الدين؟! فأنت لا ترث أباك ولا أمك ولا أحدا من قرابتك.. وهم جميعا لا يرثون!!

حكم الله عز وجل:

كان الطبيب مطرقا وهو يستمع.. ثم رفع رأسه وهو يجيب على هذا التساؤل.. وقال: بحق الوصية التى فرضها له الملك الديان.. بحق الكتاب الذى آمنت به وجعلته وسيلتى إلى رضاء خالقى.. الذى هدانى.. أو ليس من كلام الله جل وعلا قوله تعالى:

﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٨].. توقف الطبيب برهة.. ثم استأنف الحديث وهو يقول: وآيات سورة لقمان.. أليست تزيد التوصية تفصيلا.. ثم تلا قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [لقمان: ١٤، ١٥].

ساد الصمت برهة وكل من الرجلين يتدبر النص الكريم ويستعيد الوقائع التى مرت تباعا فى الأعوام العشرة الماضية.. مذ كان عبده إبراهيم لا يزال بالمرحلة الثانوية وما تلا ذلك من أحداث.. ثم عاد الطبيب يقول: هذا القول يتلوه كل مسلم ويؤمن به.. ما فى ذلك من ريب.. ولكن حدثنى بربك يا شيخ عبد الحميد وأنت رجل علم وتجربة.. ألست ترى معى أن هذه الآيات تأخذ بناصيتى وبناصية كل عبد هداه الله من بين فئة كبيرة على ضلال؟

ظل الشيخ ساكنًا لا يبدىء ولا يعيد.. واستأنف الطبيب قوله: لقد جاهدانى.. وأشهد الله.. ولعل أبى كان أشد قسوة.. ولكن أمى كانت تراقبنى وتمهد لمن يراقبنى وتغرى بى أبى ظنا منها بأن هذه الملاحقة فيها الخير لى.. وقد ربط الله برحمته على قلبى فما أطعتهما.. وضربت بيننا الأيام حجابا من مشاغل الحياة ومن ضيق النفوس بالقيل والقال.. وما أظننى على صواب فيما كان من قطيعة.. لأن الله جل وعلا يقول ﴿ وصاحبهما فى الدنيا معروفا ﴾ فأى معروف هذا إن كنت أصر على قطع ما بينى وبين أبوى..؟ ثم ارتفع صوته وهو يقول: وأى معروف هذا لو أن أبى عاد من زيارتى دون أن أنقذه.. وبقى المال راكدا فى خزانتى؟ أتظن يا شيخ عبد الحميد أن المال هو الذى يصلح من شأن العيال بعد فقد عائلهم؟ أنت تعلم أن الأمر على خلاف ذلك.. وأن الحق هو ما أنبأنا به الرحمن حين قال فى سورة الكهف ﴿ وكان أبوهما صالحا ﴾.

بقى الشيخ ملازما الصمت والإطراق.. وعاد الطبيب يقول فيما يشبه الاستفهام: أو

لا ترى معى يا شيخ عبد الحميد أن مجىء أبى إلى دارى بعد أن سمع بمولد محمد.. قد كان من جانبه كركوب أشد الأهوال وأقساها ؟؟.. أو لا ترى أن هذا السعى من جانبه.. إلى بيت ولده الذى عرف حقيقة أمره، هو نصر من عند الله لى..؟

إننى لا أنكر أن التصرف الذى صدر عنى قد مس حقوق أبنائى وزوجتى.. ولكن المبادرة كانت قضاء لا فكاك منه.. ومع ذلك سننظر فيما تأتى به المقادير إن شاء الله تعالى.. قال هذا وقد اعتزم فى نفسه أمرا..

قام الشيخ يريد الانصراف.. وإذا بابنته تعترض على ذلك.. وتتشبث به.. فرفع عصاه.. ولكن الزوج أسرع.. وقال ما هكذا يكون الاقناع.. قال الشيخ لابنته: يا هذه.. إنك لا تدرين شيئا، إنك لا تعرفين مع من تعيشين.. فاحمدى الله أن هيأ لك ما أنت فيه..

- كان هذا الموقف فاصلا بين عهد لا يخلو من قلق وارتياب وبين عهد ساده الاطمئنان إلى دخيلة الطبيب الشاب وصدق إسلامه وحرصه على اتباع أحكام الدين الحق.. فزاد قربه من الأسرة ومن الناس.. واتجه إلى الخروج من العزلة التى كان يرتاح إليها فى خدمة السجون.. والتحق بوزارة الصحة.. فكان طبيبا لمركز السنبلاوين نحو أربعة أعوام، ثم قضى مثلها فى مركز ههيا.. حتى وافاه الأجل فى شهر يونيو سنة ١٩١٨.

- رزق من العقب، بعد من تقدم ذكرهما، باثنين هما محمود وإبراهيم.. وقبيل وفاته رزق بابنته الوحيدة «علية» قال وهو ينتظر المولود الخامس.. هو على أو هى علية.

- ومن خصاله رحمه الله.. حرصه على تربية أبنائه بنفسه رغم مشاغله الكثيرة.. فهو يحاسبهم على نشاطهم العلمى يوما بيوم، ويقرئهم القرآن فى يوم الجمعة من كل أسبوع.. ويمتحنهم فيما حفظوه.. وكان يتحدث إليهم باللغة العربية الفصحى فى كل شئونهم.. ما كان منها يتصل بالدراسة وما كان هينا من شئون الحياة اليومية.. ويصلى بهم إماما حين تجب الصلاة وهو بينهم.. وفى مجال الرياضة البدنية وفلاحة البستان الصغير الملحق بالدار.. كان يشرف عليهم ويسهم بمقدار.

- وفى حياته العملية والاجتماعية.. لم يكن له عديد من الأصدقاء.. وإنما كان

يفرض احترامه على الناس بسلوكه.. روى لى من لا أتهم.. قال إن الدكتور عبده وجد إهمالا بالغا بالشئون الصحية لواحد من المساجد فى قرية تقع فى اختصاصه.. فنبه إلى النتائج الخطرة التى تترتب على تلوث الماء، ومن ثم نقل العدوى، وطلب من العمدة أن ينصح الناس بأن يكون حضورهم للمسجد بعد أن يتطهروا فى بيوتهم.. وبأن يتركوا الدورة حتى يعاد بناؤها كما ينبغى.. ولكن بيوت الفلاحين لا تسعف بشىء من ذلك.. وادراكهم لمعنى العدوى وآثارها لا يدعوهم إلى تأمل نصائح الطبيب وتقديرها.. فما استجابوا لشىء منها.. وظنوا أن الخلاص من تدخله ميسور بطريق أيسر.. وفى تفتيش تال.. كانت الحال أسوأ.. واتصل الطبيب بالمركز تليفونيا وطلب من الإدارة أن تتدخل بالقوة الجبرية لانفاذ توصياته.. وكان لابد من مرور وقت كاف لوصول هذه القوة بقيادة المعاون.. وفى هذه الأثناء.. أكد العمدة أنهم يقدرون تعب الطبيب وغيرته وعلمه والتمس منه باسم الأهالى ألا يمضى فى الإجراءات التى بدأها.. وأيد العمدة أقواله والتماسه بشىء دسه فى جيب الطبيب.. يقول الراوية: لم يحدث مثل ذلك إلا نادراً.. وأن تصرف الرجل فى أمثال هذه المواقف.. له دلالات.. فماذا فعل الدكتور عبده.. والسلطات الإدارية بالطريق.. وكل من المعاون والمأمور يحرص على مودته ولا يتردد فى أحكام الحلقات من حول العمدة ومن شاركه فى فعلته هذه!!

نادى الطبيب شيخ البلد وفريقًا من رجال القرية يرقبون تطور الأحداث وأقبل عليهم فى هدوء.. وقال يا أهل البلد.. اعلموا أن عمدتكم قد حاول أن يشترى سكوتى عن اهماله الخطير فى حقكم.. بمال لا حق لى فيه.. فهو مالكم.. وأنتم به أولى ومسجدكم أحق به إن كنتم لقيمة المساجد واعين.. ولمقدار الخطر المحيق بكم مقدرين.. ألا فاعلموا أننى لا أبغى إلا رضاء الله جل وعلا بالمحافظة على طهارة بيته.. وإنى لأرجو أن تسمحوا لى بحكم الصلاة الجامعة التى تربط بين كل مسلم وأخيه المسلم فى هذا المسجد وفى كل مسجد.. أن يكون لى من الثواب نصيب.

ثم التفت الدكتور عبده إلى عمدة البلد.. وقال له: هذا مالك، عفا الله عنك، وهذا قدر ضئيل أسهم به.. ولا أبرح مكانى هذا حتى أرى ما أنتم صانعون.. فإن أصغيتم لصوت العقل فإن أحدا منكم لا يمسه سوء.

قال محدثى: بادر بعض المتحمسين فبسط غطاء رأسه على الأرض.. والقى فيه بكل

ما كان فى جيبه.. وتنافس الغنى والفقير.. وانطلق بعض من شهد الاجتماع إلى داره ليعود بشىء يقدمه.. وتسامعت القرية بالخبر.. فما بقى من رجل فى القرية لم يلق فى المال المرصود للمسجد بقليل أو كثير.. وإذا بالنفقة التى ظنها المسئولون عن القرية.. مانعة..إذا بها تجمع فى ساعة أو بعض ساعة.. ووصلت قوة من المركز تسأل عن الواقعة وظروفها.. وفيم كان استدعاؤها.. وتولى طبيب المركز .. (أو مفتش الصحة كما كانوا يقولون) وقرر فى المحضر الرسمى.. أنه أخذ على العمدة تقصيره فى طهارة المسجد..وإذْ أثبت العمدة حسن نيته وأن ما منعه لم يكن إلا العجز المالى للقرية.. فقد عدل الطبيب عن شكواه وأثبت فى المحضر القيمة التى جمعت والهيئة التى اختارها الأهالى من بينهم لتنفيذ التوصيات الصحية.

ولئن كان هذا المثل بالغ التواضع إذا قيس بالقدر الذى جمعته القرية.. إلا أنه كبير القدر بدوافعه وأهدافه.. ثم أنه مثل صالح لسلوك الموظف العام.. إذا كان سليم العقيدة، مراقبًا لله تعالى فى أقواله وأفعاله.

❋❋❋

كوريا الجنوبية :

١٢- عبد القوى روسبنج أوك
(بطل رياضي)

عبد القوى روسبنج أوك بطل رياضة الكوندو الكورى، مسلم قوى كما يدل على ذلك اسمه، فهو يتمثل الحديث الشريف الذى يقول فيه الرسول ﷺ: «المسلم القوى خير وأحب إلى الله من المسلم الضعيف، وفى كل خير».

وقد يتساءل المرء: هل هناك مسلمون ونشاط إسلامى فى كوريا ؟ والجواب: بالفعل هناك نشاط إسلامى ناشىء فى كوريا الجنوبية. ففى مدينة (سول) العاصمة التى يقدر عدد سكانها بحوالى أربعة ملايين نسمة هناك مسجد كبير فى قلب العاصمة، وهناك اتحاد مسلمى كوريا الذى يضم نخبة ممتازة من الشباب المسلم، وهناك مجلة كوريا إسلام هيرالد.

ومن أهم العاملين للإسلام فى كوريا شيخ باكستانى مسلم يدعى: (سيد محمد جميل) الذى تجاوز السبعين من العمر، والذى يزور كوريا من حين لآخر فيهتدى على يديه مئات الناس هناك.

لم يكن له دين !!

بدأ لقاؤنا بالأخ عبد القوى بسؤاله عن رياضة (الكوندو) ؟ وهل تشبه (الكاراتيه) ؟ فأجاب بقوله: إنها تعتمد اعتماداً كبيراً على (الكاراتيه) ولكنها تستغل كل مفاصل وأعضاء الجسم فى الدفاع عن النفس.

ثم سئل عن دينه السابق فأجاب: لم يكن لى دين من قبل، إلا إنّ الإنسانية فى سائر الجهات وفى جميع الأوقات تحس فى وجدانها بالحاجة إلى التعلق بسلطان غيبى فوق ما فى الكون من قوة ومن أسباب، وإن هذا الشعور قد أوجد عندها نوعًا من التدين المطلق، أى التعبد الفطرى لرب تتعلق به فى كل ما تحتاج إليه، ولكن قد يجد الإنسان أن هذا الرب تقوم حوله الشكوك، ويجد أن هذا الدين المتّبع فى مجتمعه لا يهدى إلى

سواء السبيل، وهذا ما لمسته فى كل المعتقدات التى تعرفت عليها ما عدا دين الإسلام الحنيف.

الإيمان بالله فطرة أصيلة :

ثم كان السؤال التالى للأخ عبد القوى: هل تعتقد أن فطرة التدين نابعة من حاجات بيولوچية وفسيولوچية يتصور معها الإنسان الضعيف أن للكون إلها ؟ ثم إذا تقدمت عقليته لم يعد يشعر بمبرر للاعتراف بالألوهية مثلما يردد بعض الملحدين اليوم؟ وما تعليقك على ذلك؟ فأجاب بقوله: لقد ساد هذا الاعتقاد على أثر انتشار نظرية دارون التى تتحدث عن أصل الأنواع ثم ظهرت الفلسفة المادية الإلحادية، ولكن لا يستطيع عاقل أن يصدق ما يقوله الملحدون ويفسرون أصل الكون بأنه نتيجة الخلق الذاتى، وأن الانتخاب الطبيعى هو سبب النشوء والارتقاء، إذ كيف نتصور قيام هذه الحياة بكافة صورها وأشكالها التى تتعدى الحصر فى البر والبحر والجو وفى الإنسان والحيوان والنبات والجماد.. كيف يمكن أن تنشأ هذه المخلوقات من تلقاء نفسها ؟ هذا منطق مغلوط يأباه العقل السليم وتأباه الفطرة، ولا تردده إلا جهات متآمرة على البشرية وعلى الأديان كلها!!

ويضيف الأخ عبد القوى قائلاً: ليس الخوف من الطبيعة وحده هو الباعث على التدين، لأن الإنسان المعاصر لم يتخل عن فطرة التدين رغم تحرره من الخوف، ولن تحل النظريات العلمية والفلسفية الحديثة مهما بلغت من التقدم محل الإيمان بالله تبارك وتعالى واليوم الآخر، ولا تؤدى وظيفة هذه العقيدة فى إصلاح النفوس والمجتمعات وتحقيق الخير للأمم والشعوب.

الطبيعة من مخلوقات الله :

ولعل من المناسب هنا أن نضيف بأن الفارق الجوهرى بين موقف الإسلام من الطبيعة وموقف العلماء الماديين المعاصرين منها هو أن الإسلام يعتبر الطبيعة صديقًا من أصدقاء الإنسان فهى من مخلوقات الله، وهى تسبّح الله مع الإنسان، لذلك يأمر الإسلام أتباعه بالتفكر فى ملكوت الله: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا﴾ فلا خوف فى الإسلام من الطبيعة، وإنما صداقة ومودة، ورغم ذلك فقد أدى هذا التصور الإسلامى إلى

معرفة الخالق سبحانه وتعالى، أما العلم الحديث القائم على المادية فهو فى الحقيقة ثمرة طبيعية من ثمار تلك النظرة المتخلفة إلى الطبيعة والخوف منها، لأن العلم الحديث يعتقد أنه فى صراع مع الطبيعة وأن عليه التغلب عليها، ومن هنا كانت هذه النظرة نتيجة خاطئة لمقدمات مغلوطة.

يقول الأخ عبد القوى: لقد أدركت أن الدين يهدى الفرد إلى معرفة الأشياء، ويدلّه على أقوم السبل وأوضحها للوصول إلى خير الدنيا والآخرة، فهو المنطلق الذى يرشد الفطرة الإنسانية لتحقيق الصعود فى مجالات الرقى ومعارج التقدم فى مختلف أنواع المعرفة والحضارة.

الإيمانُ باللهِ رُوحُ الحَيَاة:

ثم سئل الأخ عبد القوى: ما أثر الإيمان بالله فى حياتك؟ فأجاب: إن الحياة بدون الإيمان بالله كالحياة فى جزيرة موحشة، والحياة مع الإيمان خروج من ضراوة الظلام إلى حنان النور، ومن غيبوبة الفكر إلى صحوة العقل، لقد كنت كاليتيم الذى لا يجد من يؤويه فأصبحت بالإيمان أشعر بالدفء لانتمائى إلى أسرة تملك كنزاً لا يفنى وأعنى به الإيمان بخالق هذا الكون، الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله.

ثم كان السؤال التالى:

أنت نجم عالمى تملأ الأضواء حياتك ومع ذلك شعرتَ بحاجتك إلى الإيمان بالله فما هى الأسباب التى دعتك إلى ذلك؟

يقول الأخ عبد القوى جوابًا على السؤال:

رغم كل تلك الأضواء وهذه الشهرة كنت أعيش فى فراغ، ولم تستطع تلك الشهرة أن تبعد عنى حالات القلق والسأم وشعرت أنه لابد من شىء يملأ القلب، ويشعرنى أن هناك ما هو أغلى من هذه الحياة وأكثر قدسية منها، وأنقى من الوجود نفسه، فلم أكن أشعر بمتعة النفس مهما نالت من الشهوات، كنت أفكر فى دين يملأ قلبى بالحب والإيمان والطمأنينة.

– وهل وجدت ضالّتك فى الإسلام؟

الإسلام غاية حياتي :

نعم، لقد وجدت فى الإسلام ضالتى المنشودة وسعدت به، وشددت رحالى إلى القاهرة بعد اعتناقى الإسلام راغبًا فى التزود بتعاليم الإسلام وعلومه وفقه الدين والدنيا ، لقد قدمت أوراقى لجامعة القاهرة وأخذت أدرس الاقتصاد والعلوم السياسية قسم الدراسات العليا ، كما بدأت أتعلم اللغة العربية لا لكى أكون مجيداً لها للتخاطب فحسب، بل أريد أن أدرس القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، حتى أكون داعية للإسلام فى وطنى كوريا .

ثم سئل الأخ عبد القوى عن أثر الإسلام فى حياته ؟

فقال: إن الإسلام دين يزرع فى القلب الإيمان بالخالق سبحانه وتعالى، ومتى آمن الإنسان بالخالق تمسك بمبادئ الإيمان التى أمر الله بها،والتى طبقها ونفذها الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام.

الرياضة تربية وإرادة :

وبصفة الأخ عبد القوى بطلاً فى رياضة (الكوندو) وُجِّه له السؤال التالى:

هل عملت على نشر رياضة الكوندو بين الشباب المسلم؟ فأجاب بقوله:

لقد حرصت منذ أن وصلت إلى القاهرة على زيارة الأندية الرياضية، كما أساهم فعلاً فى تدريب الشباب على هذه الرياضة التى بدأت تنتشر ويتسابق العالم فيها ، وهذه الرياضة تنفر من العنف رغم أنها عنيفة لأنها ضد المعتدين، فهى لا تستخدم إلا فى حالات الدفاع عن النفس إذا كان المدافع عن نفسه أعزلَ من السلاح وكان المعتدى مسلحًا .

ولما كان الأخ عبد القوى نحيف الجسم ضامره سئل عن مدى استطاعته القيام بهذه الرياضة الشاقة؟ فقال: أنا لا أغادر غرفتى كل صباح يوميًا إلا بعد تدريب نفسى على قوة الإرادة، وطريقة ضبط النفس والتنفس الصحى، وتحريك كل جزء من جسمى وتدريب كل عضلة، وضبط شهوة النفس عند حد معين فى المأكل والمشرب والتصرف الخاص والعام.

بعد ذلك وجهنا للأخ عبد القوى السؤال المثير التالى:

يقال أنك تستطيع مواجهة ثلاثين رجلاً بمفردك، وتستطيع التغلب عليهم بهذه الرياضة فهل هذا صحيح؟ فأجاب بقوله:

نعم، ولكن اعتمادى لا يكون على تلك الحركات بل على العقل الذى تدرب على استغلال نقاط الضعف فى مفاصل الجسم البشرى، وعلى التدريب الشاق المتواصل.

الأخلاق والمثل العليا:

ثم سئل الأخ عبد القوى عن وضع الإسلام والمسلمين فى منطقة شرق آسيا فقال: أحب أن أوضح أن أبناء شرق آسيا لم تلوثهم المدنية الحديثة، وقد يتوصل بعضهم إلى درجات عالية من العلم الحديث والتكنولوچيا، ولكن يظل الواحد منهم ثابتًا على معتقداته الدينية، كما يتميز أبناء هذه المنطقة بالحكمة، ويعشقون الخلق الرفيع ويقدرون المثل العليا، ولكى نحظى باحترام هذه الأقوام وحبها ينبغى أن نكون مثالاً طيبًا للتمسك بالأخلاق الكريمة، والإسلام يقول: الدين حسن الخلق كما جاء فى معنى الحديث الشريف، فإذا طبق المسلمون ذلك كانوا بحق خير دعاية للإسلام.

تعليق المؤلف:

وبعد، فهذا الحوار مع الأخ عبد القوى يستدعى التعليق من ناحيتين:

الأولى، أن الإسلام الذى يسعى إلى السمو بروح الإنسان ويقوى صلته بالله وبالدار الآخرة، لا يهمل فى الوقت ذاته جسم هذا الإنسان، والعبادات فى الإسلام أساسها نظافة البدن وطهارته، حتى إن على المسلم أن يتزين عند كل صلاة، ومن هنا وجد الأخ عبد القوى مكانًا مناسبًا له فى هذا الدين.

والناحية الثانية، هى أن كوريا الجنوبية بدأ كثير من أبنائها يتجه إلى الإسلام، فهناك مئات العمال الكوريين يعملون فى شركات للمقاولات فى العالم العربى وكثير منهم مسلمون، كما أن هناك مؤلفات عن الإسلام باللغة الكورية، ومن أبرز المسلمين الكوريين الحاج (صبرى سوه)، فهناك بداية نهضة إسلامية فى كوريا تحتاج إلى رعاية والله غالب على أمره.

انجلترا:

١٣- رودا جوردون أمين

هذه قصة امرأة إنجليزية تلقت تعليمها فى مدارس الكنيسة الإنجليزية، وكانت تعتقد أن الإسلام دين الوثنيين، وأن الدين المسيحى هو الدين الحق الوحيد. تقول الأخت روداجوردون أمين فى مقابلة لها مع مجلة إسلامية:

فن وأساطير:

ما أصعب أن يكتشف المرء حقيقة دين من الأديان، إنك إذا تلمست البساطة والعذوبة اللتين يتحلى بهما تمثال منحوت على البوابة الغربية لكاتدرائية شارتر، أو تتبعتَ الأقواس الشاهقة فوق صحن كنيسة إميان، فإنك بلا شك تقتبس نفسًا من الإلهام الدينى لهؤلاء الفنانين الغوطيين. ولكنك إذا تأملت المعالم الأخرى فلا تملك إلا أن تنفر من الأساطير التى تعبر عنها، والشياطين التى تنتظر المتهورين ذوى الوجوه كوجوه الخنازير من المخلوقات التى هى دون مرتبة البشر، تلك المخلوقات التى تقطن البلاد الشريرة خارج نطاق المسيحية، هذا هو التناقض الهائل فى الفن المنحوت بين ما يمثل المسيحية وما يمثل كل ما هو خارجها.

صورة وهمية عن الإسلام:

وتضيف الأخت رودا قائلة:

صحيح أن الناس فى الشرق والغرب قد أصبحوا الآن أكثر تعرفًا على معتقدات ومبادئ بعضهم بعضًا إلى أن ظلال العصور الوسطى لا تزال قابعة فى مؤخرة الصور التى نرسمها عن بعضنا البعض، فالفكرة التى يكوّنها كثير منا نحن الغربيين عن الدين الإسلام بالذات، والتى يغرسها نظامنا التعليمى، لا تزال باطلة خيالية وهمية، وقد ساعدت بعض المؤلفات فى الآونة الأخيرة على تبديد الشبهات، إلا أننى أنا شخصيًا، وكنت أذهب إلى المدرسة قبل الحرب العالمية الثانية أشهد بما يلى بكل أمانة:

فى أيام مراهقتى لم أتلق أى تعليم رسمى فى الدين المقارن، بل تعلمت أن الدين

المسيحى هو الدين المقارن، بل تعلمت أن الدين المسيحى هو الدين الحق الوحيد، وأن الكنيسة الإنجليزية - دون سائر الكنائس الأخرى - هى الكنيسة الصحيحة كذلك.

ثم تقول الأخت رودا: ومما يبعث على السرور أن هناك فى الوقت الحاضر، حركة لتحقيق الوحدة بين شتى الكنائس، كما أن عدداً متزايداً من الأفراد يبحثون عن فهم متبادل بين الأديان الكبرى، فمنذ أشهرٍ قليلة مثلاً، جاء أعضاء أمريكيون فى جمعية الأصدقاء إلى هذا الجزء من العالم الذى يسمى الشرق الأوسط بالنسبة لموقعه من الغرب، والذى يجب أن يدعى كما يقول الأستاذ أرنولد توينبى فى محاضراته التى ألقاها هنا فى الآونة الأخيرة: «المركز»، مركز العالم القديم على الأقل، هؤلاء الأعضاء قدموا إلى البلاد الإسلامية لمقابلة قادة الفكر الإسلامى لإجراء حوار معهم، يهدف إلى تحقيق فهم أفضل بين الأديان.

وكان السؤال التالى للأخت رودا: هل تعتقدين بوحدة الأديان الكبرى فى العالم؟

فأجابت بقوله: هناك فى الواقع اعتقاد متزايد، أشارك فى الإيمان به، بوحدة رسالات الأديان الكبرى، وحدة أخفتها العداوات والشبهات التى أوجدها الإنسان نفسه. وهذا الاعتقاد ليس جديداً، فقد نادى به محمد عبده عندما قال: إن الدين فى جوهره واحد، وأن جميع الأنبياء يؤمنون بدين واحد، وأن جمال أى شخص لا يتمثل فى الدين الذى يعتنقه رسميًا، بقدر ما يتمثل فى كيفية تفسيره وفهمه لهذا الدين، وكيفية تصرفه تجاه ذلك التفسير وهذا الفهم.

لماذا اخترت الإسلام؟

ولك أن تسأل لماذا اخترت الإسلام بالذات؟ لِمَ لَمْ أنضم إلى الحركة الإنسانية الجديدة التى ظهرت مؤخراً؟ أو إلى المحاولات العلمانية التى تسعى إلى رؤية عالمية؟ والجواب هو تمامًا كما لو فقدتُ عقداً من اللآلئ الحقيقية فى تراب غرفة مهملة، فأنا أفضل أن أبحث عنه فى هذا التراب، وأسعى جاهدة لإزالة ما علق به وصقله بعناية، بدلاً من أن أندفع لشراء عقد من اللآلئ الصناعية ذات البريق الكاذب، واللآلئ هى الحكمة المتجمعة من خبرة الإنسان وتجاربه الدينية.

ثم توضح الأخت رودا الفارق فى نظرها بين الدين والعلم فتقول: إن الدين، والأخلاق

بصورة عامة، لا تتطور بنفس الطريقة التى يتطور بها العلم، صحيح أن العلم يجمع حصيلة الخبرات أيضا فى إطار خبراته وطريقته، إلا أنه يمضى قدمًا فى مراحل واضحة ممكنة من استبعاد ونبذ نظرياته السابقة بشكل صارم متيقن، وقد ظهرت هذه الحقيقة فى بعض الأحيان بشكل درامى كما حدث فى تطور علم أصل الكون من جهة، وفى علم الفيزياء النووية من جهة أخرى. فنظريات الماضى بالنسبة للعلم ليس لها فى الغالب إلا قيمة تاريخية بحتة.

ثم تقول: صحيح أن الدين قد تطور من المراحل البدائية لعبادة الطبيعة والسحر(١)، إلا أن تقدمنا فى مجال الأخلاق منذ عهد الأنبياء لا يزال موضع خلاف، فإذا عَرَّفنا الدين بأنه إدراك للحقائق الأخلاقية، واتباع للحياة الطيبة، فلا يمكن أن نجد أننا فى حالة سعيدة من التقدم المستمر كما هو الحال بالنسبة للعلم، فقد عاشت هذه الحياة الطيبة الخيّرة نماذجُ من العصور السابقة، ويمكننا أن نتعلم منهم كما نتعلم من أفضل معاصرينا، وبديهى أننا فى وضع دقيق الآن بالنسبة لأخلاقنا التى لم تتطور بشكل يوازى قوة أسلحتنا.

وتضيف قائلة، لذلك لا مبرر لنا أن ننبذ رسالات الأنبياء مثلما نبذنا جانبًا علم أصل الكون عند بطليموس، أو محاولات تفسير الطيف قبل تطور الأجهزة الذرية لقياس ذلك، فالحياة الطيبة أشد صعوبة فى تحقيقها من التقدم العلمى، نستطيع بعلمنا أن نصنع لآلئ صناعية مزيفة، ولكننا لا يمكن أن نصنع لآلئ الحكمة الحقيقية، لذلك كان من الأفضل لنا أن نجمع الجواهر الحقيقية التى منحنا إياها الأنبياء، وهى الرسالات القيّمة للتجارب الدينية المقنعة والرؤية الخلقية والوحى المنزل من السماء.

ثم تقول: وبالإضافة إلى ذلكَ كله شعرت بحاجة داخلية إلى عقيدة تستند إلى العقل، وقد سعى الإمام محمد عبده إلى توحيد الأديان فى ظل الإسلام، فقال بأن أديان التوحيد الكبرى عبارة عن سلسلة لوحى سماوى مستمر، وهو بذلك أراد أن يعقد صلحًا بين الأديان الكبرى فى العالم، والإسلام يبدو لى بأنه يعبر عن هذه الوحدة، فهو يعلن أن موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام هم جميعًا رسل الله الواحد سبحانه.

(١) الذى تطور فى مراحل هو أديان البشر التى اخترعوها، أما الدين الإلهى الذى جاءت به الرسل فقد بدأ منذ آدم عليه السلام على غاية الكمال.

دين العقل والفطرة:

وهذه بعض الأركان الأساسية فى الإسلام وجدتها مقنعة ومنسجمة مع العقل:

١- إن الإسلام يعلن بطريقة لا لبس فيها أن الله واحد لا شريك له، ولا يدع أى مجال لأى تعقيد أو شك فى هذه القضية المهمة.

٢- إن رسالة الإسلام موجهة للناس كافة، وهذه ثمرة من ثمار التوحيد.

٣- إن الإسلام دين التسامح، فمن الواضح أن المسلمين لهم سجل حافل بالتسامح أكثر من اتباع كافة الديانات الأخرى، وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر محاكم التفتيش فى أسبانيا، وكيف كان اليهود مضطهدين من قبل النصارى فى العصور الوسطى ولكنهم فى الوقت ذاته كانوا يتمتعون بحرية العقيدة فى ظل الحكم الإسلامى، ويساهمون فى تطور الحضارة والثقافة. وشاهدنا على ذلك ابن ميمونة اليهودى. ولعمرى إن التسامح هو التربة الخصبة لوحدة الإنسانية.

٤- إن الإسلام يخاطب العقل ويدعو إلى طلب العلم، فكثير من آيات القرآن الكريم تدعو إلى النظر فى آيات الله فى الخلق، وهنا نجد وحدة بين العقيدة والمنطق ودمجًا بين النواميس الطبيعية والقوانين الأخلاقية، وهذا يدعونى إلى مناقشة المعجزات.

فتنزيل القرآن بالوحى يُعتبر معجزة تمامًا كالوحى السابق الذى نزل على الأنبياء السابقين، كما أن آيات الله فى الكون هى أيضًا معجزات فى الخلق ذاته، وفى رأيى أن معجزة الخلق ذاتها هى أعظم المعجزات. لأن من المناسب أن تعتقد أن الله يجرى نواميس الكون حسبما خلقها لا العكس، ونحن فى لحظات الوعى الشديد المتيقظ نحس أن الطبيعة التى ألفناها من حولنا هى من أعظم المعجزات، ابتداءً بأشعة الشمس التى توقظنا فى كل يوم جديد، إلى النملة الصغيرة التى نجدها فى السكر.

ظروف ومقدمات الإسلام:

ثم تقول: سأذكر الآن بعض الظروف التى ساهمت فى إعدادى وتهيئتى لقبول دين غير معروف من قبل لدىّ، وفى البلد الذى ولدت فيه:

أولاً: ولدت ونشأت فى الصين، وقامت مربية بوذية بالعناية بى، وكانت طيبة كأى



امرأة مسيحية تمامًا، وتعلمت لفترة من الزمن بين أطفال من مختلف الجنسيات والأديان.

ثانيًا: رغم أن والديّ كانا أعضاء في الكنيسة الاسكتلدنية المعمدانية حيث قاما بتعميدي، فلم يكونا متدينين بالمفهوم الضيق للكلمة؛ اعتقد أنهما كانا متدينين بأفضل ما يمكن أن تحمله هذه الكلمة من معان. وقد علماني دومًا أنا وإخوتي أن علينا أن نحترم أديان الآخرين التي تختلف عن ديننا، وأن هناك أناسًا طيبين خارج الكنيسة تمامًا كما هو موجود داخلها.

ثالثًا: في الجامعة تعلمت شيئًا من الشجاعة الأدبية فتساءلت عن المعتقدات السائدة؟ وأعربت عن شكوكي التي كانت تساورني، بعد أن كنت أخفيها حتى عن نفسي؛ لقد أحببت شخصية المسيح وتعاليمه، إلا أنني لم استرح فكريًا لقصة التضحية التي لم يكن منها بد من جانب الرب من أجل أن ينقذنا، وكثير من الطلاب في الجامعة أعلنوا عدم إيمانهم لأنهم نظروا إلى المسيح كرجل فحسب، رجل يحب قومه مثل غاندي[1]، وفي الجامعة أيضًا كان هناك طلاب لهم عقائد أخرى، وكان من بين أصدقائي فتاة باكستانية مسلمة تدعى عقيلة بيرلاس كانت تحدثني عن دينها بأسلوب مقبول تمامًا، وفي الجامعة تعرفت علي الإسلام من خلال هذه الفتاة ومن دراستي العلمية أيضًا، وتزوجت رجلاً مسلمًا إلا أنني لم أرض أن أسلم لإسلامه، وظللت في حذر وترقب حتى أسلمت عن اقتناع فألفت كتابي «سبع سنوات في الشمس» خصصت جزءًا منه للتحدث عن الإسلام.

وبهذه الطريقة التدريجية كان إسلامي، فاخترت العقل والنور حين اخترت الإسلام.

❊❊❊

(١) شتان بين المسيح عيسى بن مريم رسول الله، وبين غاندي الزعيم الهندي الذي كان يدافع عن عبادة الهندوس للبقر، وكلاهما بشر خلقه الله.

تايلاند:

١٤ - عثمان عبد الله

(بريشا بنكمرت سابقاً)

بريشا بنكمرت من رجال التربية والتعليم بمملكة تايلاند. نشأ فى أسرة بوذية يتمسك أفرادها بتعاليم وفلسفة بوذا، ويحرصون على الانخراط فى سلك الرهبنة لفترات معينة من حياتهم، ورغم تفانى هذه الأسرة فى الأخذ بمبادئ بوذا وفلسفته التى لم يتبق منها غير الأساطير والخرافات - وهذا هو شأن الوثنية فى جميع مراحلها وأطوارها - لم يطمئن بريشا إلى هذه الديانة، ولم يأبه بالضجة التى يثيرها الرهبان فى بيت والده، من أن باستطاعتهم كشف عالم الروح وما فيه من خوارق، وأنهم بفضل هذا الاتصال يستطيعون الإتيان بالعجائب من شفاء المرضى وتأليف القلوب، وإطفاء نار الكراهية بين المتباغضين، وجلب الرزق، وجمع الحبيب بحبيبه. وهى أمور يعجز عنها، فى زعمهم، رجال الدين فى أية ملة أخرى.

لم يصدق بريشا كل ذلك، وطالما وجه الأسئلة إلى والده وإلى الرهبان من حوله لمعرفة أصول ديانته، ودورها فى الحياة. فكان جوابهم الدائم له: إذا أردتَ المعرفة فانخرط فى سلك الرهبنة.

الرّهبانيّة المتهاوِيَة:

ولكن بريشا الشاب لم يكن يرتاح لهذا الجواب، إذ لم تكن لديه الرغبة فى أن يصبح راهبًا ولو لفترة وجيزة، فهو يكره أن يصير كهؤلاء الكسالى العاطلين الذين يعيشون على هامش الحياة، لا همّ لهم إلا حمل الأوانى الفخارية، والخروج بها من معابدهم كل يوم قبل شروق الشمس ثم الوقوف على جانبى الطريق يتلمسون الهبات من الشيوخ والمسنين والنساء الذين يملأونها بالأرز المسلوق والسمك المجفف.

والشيء الذى هيأ للشاب بريشا الابتعاد عن ديانته أكثر من ذلك وفاة والده، الذى

فقد الرهبان بموته محسنًا كريمًا. وانقطعت صلتهم بأهل البيت عندما أكمل بريشا دراسته، واستلم وظيفة بإحدى المدن البعيدة عن ولايته. وكان له إخوة صغار زغب يرعاهم وينفق عليهم.

وهكذا أدى العبء الثقيل الملقى على عاتق بريشا ومسئوليته نحو أسرته إلى ابتعاده عن المجتمعات، وقضائه وقت فراغه في البيت مع إخوته يناقشهم فيما درسوه ويشرح لهم ما صعب عليهم من الدروس والمسائل.. في تلك الآونة كان يخلو أحيانًا إلى نفسه فيتأمل هذا الكون الفسيح، وما فيه من نظام بديع وجمال متسق. فلا يملك أن يتساءل: أحقًا أن الطبيعة كما يقولون أوجدت نفسها بالصدفة؟!!

دين البشرية:

ومن هنا حببت إليه دراسة الأديان، والبحث عن الدين الذي يجدر أن يكون «دين البشرية ودين الحياة» كما يصفه.

ويتحدث بريشا في مقال نشرته له مجلة الرابطة الإسلامية التي تصدر في بانكوك باللغة التايلاندية فيقول:

«لقد ظللت أبحث عن الدين الذي يصح أن نقول بحق إنه دين البشرية، وأحمد الله إذ أنار لي طريق الهدى فرأيت الحق، وانشرح صدري للإسلام».

وفي ٢٤ يناير ١٩٧١م أعلنت إسلامي وغيرت اسمي من بريشا بنكمرت إلى عثمان عبد الله.

موقف البوذيين:

وما أن علم البوزيون بإسلامي حتى أقبلت جموعهم إلى بيتي وأخذوا يتساءلون بنوع من التهكم والسخرية:

كيف يكون الإسلام خيراً من دينك ودين آبائك..؟؟! ألا ترى المسلمين هنا، وما هم عليه من فرقة وتخلف وجهل؟!! ماذا رأيت من فضيلة في الإسلام حتى دعتك نفسك لاعتناقه؟! ألا يكفيك مظهر المسلمين في بلادنا؟

فكان جوابى لكل هذه التساؤلات:

لا تعجلوا على يا قوم، فالإسلام دين السلام والمساواة والحرية، والأخاء والكرامة والعزة. يظهر ذلك جليًا فى أحكامه ومبادئه وآدابه. فالصوم فى الإسلام ليس كالصوم فى الأديان الأخرى، لأن مشكلة الإنسان ليست فى أن يكبت مطالب جسده، وأن يتغلب عليها حتى تكون أقرب إلى العدم منها إلى الوجود. فهذا أمر ممكن بالمران والتعود ومستطاع، فشهوة الجنس مثلاً يمكن استئصالها باستئصال المذاكير، وشهوة الطعام والشراب بالحرمان، مثلما يفعل الرهبان حتى يصير جسد الواحد منهم أشبه بهيكل عظمى متحرك، ولكنهم مع ذلك لم يتركوا بذلك أى أثر لهم فى الحياة كبشر درجوا على وجه هذه البسيطة وعمروا ما أمكنهم عمرانه فيها، بل انصرفوا عن ذلك فى عجز وحسرة.

دِينُ الفِطْرَةِ:

لذلك فالإسلام، الذى هو دين الفطرة، لم يرض للمؤمنين به هذا السلوك السلبى الانعزالى، ولم يشرعه لهم. بل عَدّل مطالب الجسد وهذبها، ولم يكبتها.. ونمى الغريزة وعلاّها ولم يستأصلها ورسم الطريق السوى للسير بها نحو الكمال.

فالصوم فى الإسلام تعويد للنفس على الصبر والجهاد ضد الشهوات الآثمة المحرمة، ومراقبة الله فى السر والعلن: واستشعار لطعم الحرمان والجوع كى يعطف الصائم على المحرومين. كما أن فى الصوم فرصة لإعطاء الجسم راحة من التخمة. فالصوم مفيد للشخص فى صحته وروحه وعقله، وللمجتمع فى تقاربه وتعاونه واتحاده. كما أن الصوم فى الإسلام يعود الإنسان على عدم الإسراف أو التطلع لما فى يد الغير لأنه قد تعود أن يستغنى بما فى جسمه سحابة النهار كله، وتدرب على الاكتفاء بما لديه شهراً كاملاً. وهذا ضرب من محاربة الجشع والإسراف وخلق لروح جديدة من الاكتفاء الذاتى وهو مبدأ اقتصادى عام.

وجملة القول إن الصوم فى الإسلام ليس حرمانًا من تناول الحلال الطيب مأكولاً أو مشروبًا، ولا انهماكًا فى تناوله بلا حساب. فكلا الطرفين دميم. وخيرهما ما هو وسط.

أما الزكاة.. فلم أجد دينًا وضع لها تشريعًا شاملاً كالإسلام، والمجتمع الإسلامى الذى يحرص على إخراج الزكاة يخلو من الفقر والحرمان والتشرد، ولا يشعر اليتامى فيه ولا الأرامل بضيق العيش أو نكد الحياة.

إننى أتصور لو أن العالم كله اهتدى إلى الإسلام لما بقى على ظهر الأرض جائع أو محروم أو شقى. والمجتمع المسلم الذى يلتزم بأحكام الإسلام وآدابه مجتمع نظيف سعيد تنعدم فيه الجرائم بكافة ألوانها. ورغم الصعوبات التى تعترض طريقى والمضايقات التى ألقاها فإننى أتجمل بالصبر ولا أتهرب من مواجهة من يلقانى لعلمى أن الهداية الربانية جَلَتْ قلبى، وأن واجبى الصمود فى وجه الأعاصير ليتسنى لى القدرة على خوض ميدان الدعوة إلى الإسلام بروح من الحب والعزم والسلام والرحمة، ولكى أستطيع بذل الجهد الممكن فى الدعوة إلى الإسلام... ذلك الدين الذى اقتضت العناية الإلهية أن يكون الدين العام الخالد للبشرية بمختلف ألوانها وأجناسها ولغاتها حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

نشرت قصة إسلام الأخ عثمان فى العدد ٣٤ من مجلة «الرابطة الإسلامية» الصادر فى بانكوك - تايلاند بتاريخ فبراير ١٩٧١م

فهرس الجزء الأول

السعر ٤ جنيهات



هذا الكتاب

الإسلام دين الله إلى جميع خلقه وهو فطرة الله التى فطر الناس عليها والإنسان خلق من روح وجسد وقد طغت اليوم الماديات على الروحانيات فأصابت البشرية بأمراض اليأس والعجز واضطرابات نفسية شتى.

وقد جاء هذا الكتاب يروى قصصاً واقعية عن رجالٍ ونساء أسلموا.. فقد ولدوا بعيداً عن ديار الإسلام بل ونشأوا فى مجتمعات تتعصب ضد الإسلام وتشوهه إلا أنهم لفظوا المادية الزائفة وصدقوا مع أنفسهم فتفجرت من صدورهم ينابيع الهداية إلى الدين الحق فأسلموا بعد إيمان ودراسة واقتناع

و هذا الكتاب موجه إلى المسلمين فى المقام الأول الذين وجدوا الإسلام والعربية بين أيديهم أمراً هيناً سهلاً ففرطوا فيه . فعند مطالعة قصص هؤلاء الذين أسلموا نرى كم العناء والجهد الذى بذلوه ليصلوا إلى الإسلام.

و هذه كلمات جائت على لسان فتاة إنجليزية أسلمت :"يعيش العالم الغربى اليوم فى ظلام دامس وليس هناك أي بصيص أمل فى قيام الحضارة الغربية بتوفير سبيل لتخليص الروح والنفس .. والإنسجام اللطيف فى الإسلام بين مستلزمات الجسد ومتطلبات الروح يمكن أن يمارس تأثيراً قوياً فى أيامنا هذه وبوسعه أن يبين للحضارة الغربية السبيل المؤدى للفلاح والخلاص الحقيقيين".

مهندس

ماجد أحمد يحيى